فتح الله كولن... سيرةُ بكاء

أو

فتح الله كولن... الناى الحزين

اعداد

دكتور محمد السقا عيد

استشارى طب وجراحة العيون

السيرة الذاتية للكاتب

د. محمد محمد السقا عيد

- من مواليد دمياط عام ١٩٦٣م.
- تخرج فى كلية طب الزقازيق عام ١٩٨٧م.
- حصل على ماجستير في طب وجراحة العيون عام ١٩٩٥م.
- عضو الجمعية الرمدية المصرية.
- يعمل حاليا استشاري طب وجراحة العيون بمستشفيات وزارة الصحة المصرية بمحافظة دمياط بجمهورية مصر العربية.
- عضو المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بجمهورية مصر العربية
- عضو جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنةبجمهورية مصر العربية.
- باحث في الطب الإسلامى.
- تتركز كتاباته عن المفاهيم الطبية والعلمية لمعطيات الكتاب الكريم والسنة النبوية المباركة.
- له كتابات عدة في هذا المجال في صحف ومجلات عربية مختلفة مثل:
  - جريدة العالم الاسلامى السعودية.
  - مجلة "المسجد" السعودية.
  - مجلة "التوحيد" المصرية.
  - مجلة "الوعي الاسلامى" الكويتية.
  - مجلة "منار الإسلام" الظبيانية.
  - مجلة "الهداية" البحرينية.

- مجلة المجتمع "الكويتية".

- من مؤلفاته :

- أ - الموسوعات

- الموسوعة العلمية الحديثة في الطب البديل.
- موسوعة شفاء العليل في أسرار الطب البديل.
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
- موسوعة الطريق إلى الرشاقة والجمال.

- ب- الكتب

- العلاج بالعسل .
- العلاج بالألوان صيحة جديدة في عالم الطب .
- الأمراض الجنسية والتناسلية ..أسبابها وعلاجها
- البصمة آية تؤكد قدرة الخالق
- معالم في تربية الأطفال.
- كيف تقوى الذاكرة وتحفظها من النسيان؟
- عودة إلى الطب الأخضر.
- ابنك وصحته النفسية.
- علاج السرطان بالطب البديل.
- عجائب الألوان في عالم الإنسان.

ج-الكتيبات

-حديث الدموع.

-الشاي مشروب الصحة السحرى.

-البرتقال: رمز السعادة ومكمن الفوائد

-البصل.... صيدلية النباتات.

-الثوم " ترياق الفقراء".

-الجزر... فوائد طبية وغذائية متعددة.

-الحلبة شفاء ودواء.

-الرمان .... فاكهة أهل الجنة.

-الزنجبيل كنز من كنوز الصيدلة.

-القرنبيط.....و الارتقاء بالصحة العامة.

-المشمش وفوائده الصحية والجمالية.

-الجنسنج ...إكسير الحياة والشباب الدائم.

- الزيتون..... وقدراته العلاجية والشفائية.

له تحت الطبع :

- موسوعة الاعجاز العلمى فى خلق الانسان .
- كلام فى العيون.
- ذاكرة الانسان... توضيح وبيان.
- الغذاء بين الصحة والمرض.

اللقاءات التليفزيونية :

له العديد من اللقاءات التليفزيونية على القنوات الفضائية كقناة الجزيرة وقناة الحكمة وقناة الصحة والجمال وقناة مكة الفضائية وقناة الرحمة الفضائية .... الخ منها :

١- لقاء عن العلاج بالألوان على قناة الجزيرة (برنامج هذا الصباح).

٢- لقاء عن الإعجاز العلمي في القرآن على قناة الحكمة الفضائية.

٣- عدة لقاءات على قناة الصحة والجمال منها:

- سلامة عينك ١ في برنامج (خد بالك)
- سلامة عينك ٢ في برنامج (خد بالك)
- أسرار البكاء والدموع في برنامج (خد بالك)
- الإعجاز العلمي في الصلاة الجزء الأول فى برنامج دواء من السماء.
- الإعجاز العلمي في الصلاة الجزء الثاني في برنامج دواء من السماء.
- العلاج بالألوان في برنامج دواء من السماء .

٤-عدة حلقات(٥ حلقات) على قناة الصحة والجمال.

برنامج دواء من السماء بعنوان (العين بينات علمية ودلائل اعجازية)

يوم ٣ويوم١٠ ويوم١٧ ويوم ٢٤ويوم ٣١شهر ٩ عام ٢٠٠٩.

٥-عدد ٧ حلقات عن العيون على قناة مكة الفضائية.

٦-حلقتين على قناة الرحمة الفضائية الأولى بعنوان أسرار الدموع واعجاز الخلق والثانية بعنوان أسرار العين واعجاز الخلق.

المؤتمرات الدولية

-مؤتمر الجزائر الثاني للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بولاية الشلف- الإعجاز الطبي والدوائي _ فبراير ٢٠٠٩.

-مؤتمر الجزائر الدولى الثالث للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بولاية سيدى بلعباس- ديسمبر – محور علوم الأرض٢٠٠٩

-عضو مشارك ومؤسس في مركز الجزائر الدولي للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

- المؤتمر السنوي الخامس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بجامعة المنصورة-مصر بالاشتراك مع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة - أبريل ٢٠١٠م.

- مؤتمر المغرب الدولي الثالث للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة بكلية العلوم بتطوان بالمملكة المغربية١٧-١٩ سبتمبر ٢٠١٠

- مؤتمر المنوفية الأول للإعجاز العلمي فى القرآن والسنة بسرس الليان-مصر بالاشتراك مع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي بمكة المكرمة-يوليو ٢٠١١.

- المؤتمر السنوي السادس للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بجامعة المنصورة-مصر بالاشتراك مع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة – ١٣مارس ٢٠١٢م.

- مؤتمر الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة باسطنبول –تركيا – أكتوبر ٢٠١٢م.

الجوائز

-حاصل على الطبيب المثالي على مستوى جمهورية مصر العربية لعام ٢٠٠٥م .

-فاز في المسابقة العالمية التي نظمتها لجنة الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

بمجمع البحـــــوث الإسلاميـــــــــــــــة بالأزهر الشريف بالاشتراك مع وقف الفنجرى عام ٢٠٠٥م.

-كرمته نقابة أطباء دمياط في يوم الطبيب بإعطائه درع النقابة نظرا لتميزه وإسهاماته في مجال الإعجاز العلمي .

مقدمة

قراءة فى التجربة التركية

ادخر لى القدر أن أطالع التجربة التركية من خلال الواقع المعاش والمعاينة وليس فقط من خلال حضور ندوة أكاديمية متخصصة تتحدث عن التجربة ، والبون شاسع جدا بين أن أسمع عن " تجربة" وبين أن أعايشها وأبصرها عن كثب ، نلتقى أصحابها والذين يصنعوا أحداثها بمستوياتهم المختلفة فى ميادينهم .

وجهت لى مجلة "حراء" دعوة كريمة لالقاء محاضرات فى الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة مع صفوة من اخوانى علماء هيئة الاعجاز العلمى العالمية ، وبالفعل سافرت والتقيتهم هناك باستانبول، والحق أقول لقد تأثرت بهم أيما تأثر وشعرت بأحاسيس ومشاعر وعواطف جياشة ، كما تأثرت بمشاهد وحكايات ومشروعات وعناصر كلها تدغدغ القلب وتحمله قسرا على إخراج الزفرات ساخنة وتدفع الدموع إلى طريقها من المُقل فرحا وسرورا حينا وحزنا ونكدا أحيانا أخرى .

تنقلنا حينها ما بين إسطنبول وأنقرة نطوف على مؤسساتها المختلفة من مدارس وصحف وفضائيات ومصانع، وحتى مطاعم ومنتجعات سياحية.

أخبرنا الوفد التركى المرافق لنا -وكان من تلامذة الشيخ - أن أساس هذه النهضة هو رجل يدعى "فتح الله كولن" .... والحقيقة أننى لم أكن أعرف عنه الا النذر اليسير ، فزاد شغفى وفضولى لمعرفة المزيد عن هذا الرجل المعجزة الذى نهض بتركيا هذه النهضة الرائعة.

فطلبت من تلامذته أن يحدثونى أكثر عن الأستاذ فتناوب تلامذته الحديث الواحد تلو الآخر واستطرد وا يقولون : لقد كان الأستاذ يريد أن يرى راية لا إله إلا الله ترفرف على تركيا، فقد كان يبكي مثلنا على ضياع الخلافة وانتشار الفجور والسفور. قام الشيخ "فتح الله" بوضع الأساس لتربية جيل جديد، وبدأ بعمل شقق سكنية لطلبة المدارس والجامعات، مستعينًا بتبرعات رجال الأعمال، وكان الهدف من هذه الشقق هو أن يتم تربية جيل مسلم بداخلها يصمّ أذنيه عن صراخ العلمانية.

يُذكر أن رجال الأعمال كانوا يتبرعون أحيانًا بجُلّ دخلهم من أجل الدعوة. سمعنا هناك عن رجال فعلوا مثلما فعل عمر -رضي الله عنه- وتبرعوا بنصف مالهم، وثمة آخرون حاولوا الوصول إلى أبي بكر -رضي الله عنه- فتبرعوا بجلّ دخلهم السنوي من أجل العمل الدعوي.

وأطلق الشيخ "فتح الله" على مشروعه اسم "مشروع الخدمة" وهي خدمة القرآن الكريم، وجعل الخدمة أمرًا مقدسًا بأن تحفّظ أحد الشباب القرآن، أو تتولى رعايته دراسيًّا.

بدأ المشروع بشقق الطلاب وبدأت الثمار تظهر، فأصبح الطلاب أنفسهم مسئولين عن رعاية الطلاب الأصغر منهم، وبدأ تلامذة الشيخ يتولّون الرعاية بأنفسهم في ملحمة نكران ذاتٍ رهيبة.

تطور الأمر فصار هناك مبانٍ كاملة وليس شقق للطلاب، وزاد عدد المنتسبين إلى جماعة الخدمة، حتى وصل الأمر إلى إنشاء مدارس، وكان هذا هو التحدي الحقيقي.

كيف تنشأ مدارس تدرس الدين في دولة تحارب الدين؟ لكن قرار الشيخ كان هو أنه يجب على المسلم أن يكون متعلمًا ومتدينًا في الوقت نفسه، أي أن يتسلح بالإيمان دون الإخلال بتسلحه بالعلم، وإلاّ فلن يصلح المسلم للإبداع والقيادة.

تم إنشاء مدارس على أعلى مستوى تعليمي لتدريس مناهج تركيا العلمانية، ولكن المدرسين كانوا هم المختلفين هذه المرة؛ فالمدرسون هم تلامذة الشيخ وخريجو بيوت التربية خاصته. وبدأت الثمار تنضج واحدة بعد الأخرى، واستمر الأمر حتى بلغ عدد المدارس الآن إلى أكثر من ألف مدرسة ونحو خمس عشرة جامعة في تركيا وألمانيا والولايات المتحدة وغيرها.

المنهج الرئيسي الذي تم اتباعه كان هو الاندماج في المجتمع والتفوق والتميز، ثم الانطلاق لقيادة هذا المجتمع دون الإخلال بثوابت الدين. وربما يكون قد شاب هذا المشروع بعض الأخطاء أو التجاوزات أو الاجتهادات الخاطئة، إلا أننا نأمل في أن يتم تصحيح هذه الأخطاء عندما يتوالى تخريج أجيال جديدة من علماء الأزهر الأتراك القادرين على تنقيح المنهج على ضوء العلم الشرعي.

ولما كان الإعلام من القاطرات التي يجب أن تجرّ قطار النهضة مع التعليم، فتم إنشاء مجلة "حراء" وجريدة "زمان" وهي الآن أكبر جريدة تركية. فكرة جريدة "زمان" قائمة على فكرة المدارس نفسها، فكما أنك يجب أن تنتج خريجين متميزين قادرين على تولّي القيادة، فكان لا بد من إنتاج إعلام قادر على الوقوف بشراسة أمام إعلام العلمانيين. إذن يجب أن تكون الجريدة ناجحة ذاتيًّا وليس فقط بسبب دعم رجال الأعمال لها. يجب أن تكون قادرة على النجاح الحقيقي والبيع بشكل مكثف مثل أية جريدة علمانية قوية أخرى بل أكثر.

تم تجنيد شباب لا حصر لهم للقيام بعملية التوزيع، وكانوا يعملون بشكل لا كلل فيه ولا ملل، بل فيه قدر كبير من إراقة ماء الوجه. كان الأمر هو أن على الشباب الذي يعمل بالتوزيع أن يكون في كل أنحاء تركيا وكل مدنها، وأن يبيعوا اشتراكات الجريدة لكل فرد يستطيعون الوصول إليه. كانوا يمرّون على المحال التجارية والمطاعم والمكاتب يبيعون الاشتراكات، ويوزعون بأنفسهم الجريدة.

كان أعضاء الخدمة -وما زالوا- يتعاملون مع أمر الجريدة أو مجلة "حراء" أو أي منتج من منتجات الدعوة بقدسية شديدة، ويتفانون في نشر منتجهم، ويتفانون في جمع التبرعات لمؤسسات الخدمة أو لدفعها للطلبة كمنح دراسية في الأزهر أو غيره. كل فرد قادر على جمع التبرعات له عدد من المنح الدراسية كهدف سنوي عليه تحقيقه كل عام، ويقوم بالتودد للميسورين حتى يحصل منهم على تمويل المنح الدراسية.

وصل الأمر الآن إلى جريدة ومجلة وعدة دُور نشر خارج وداخل تركيا، ومؤسسات تعليمية لا حصر لها، ومستشفيات، وقنوات خاصة تحت الإنشاء. الآن أصبحت الأحزاب السياسية التركية تخطب ودّ الدعوة ، فمَن تدعمه جماعة "فتح الله كولن" يحصل على عدد نحو ٢٠% من الأصوات بسهولة، ناهيك عن الدعم الإعلامي.

كان دور الجماعة في النهضة هو إنتاج البشر القادرين على النهوض بالدولة. عندما سُئل أحد وزراء أردوغان: كيف استطعت أن تحقق هذا النجاح السريع؟ كان رده أنني لم أفعل شيئًا خارقًا للعادة؛ لأني وجدت العديد من الشبان الممتازين للعمل معي في إدارتي وهم أكفاء وأمناء.

كان هؤلاء الشبان هم طلائع مشروع الشيخ فتح الله كولن، الذين خرجوا ليتسلموا مراكز القيادة. أيضًا أصبحت الجماعة تضم عددًا لا نهائيًّا من رجال الأعمال الذين يتبرعون للجماعة. جريدة الفتح المصرية، العدد (٢٤).

آمن به كثيرون، تزايدوا يوما وراء يوم ، سعى الرجل إلى تدعيم الايمان فى القلوب ... قلوب الناس من حوله ، تسامع به شيوخ كبار وأجيال مختلفة من مراحل عمرية متباينة يشدون الرحال إليه فى أزمير حيث كان يقيم قبل مغادرته . حقا لقد قال فأجاد وكتب فأبدع وهم فنال كل مطلوب .

ولا يزال العالم المربي فتح الله كولن وحركته التي تستند إلى توجهاته، تجذب أنظار العالم الإسلامي وتحوز على اهتمامه وتقديره.

اختارته المجلة الأمريكية "السياسية الخارجية" (FP: Foreign Policy) ضمن قائمة المائة شخصية العامة في القمّة الأكثر تأثيرًا في العالم.

إن فضيلة الشيخ بكيانه كله، وبوجوده بأجمعه، روح عظيم فياض بالمعارف الإلهية، لقد ذهب بعيداً وبعيداً جدّاً في ارتقاءاته الروحية، إلاَّ أنه لم يَنْسَ لحظةً واحدةً أنه صاحب قلم مسئول عن إيمان أمة، وعن حياتها الروحية والحضارية، فما ابتعد إلاّ اقترب، وما غاب إلاّ حضر، وما ارتقى إلاّ ليرتقي بأمته، وما عرفَ إلاّ ليعرّف أمتَه، فهو دائم الرواح بين الله تعالى وبين خلقه، بين سمائه وأرضه، بين عروج وهبوط، وهبوط وعروج، لكنه مع الأمة دوماً في أوجاعها ومعاناتها.

والصوفي الحق -كما عند الشيخ- قرآني الروح، سنِيُّ السلوك، فلا عروج ولا ارتقاء إلاّ فيهما ومنهما، فإذكاء نار العداء بين الذين يسمون أهل الشريعة وأهل الحقيقة أجّجَ في السابق ويؤجج اليوم صراعات خطيرة بين المسلمين، وهو وَهْمٌ يجب الانتباه إليه، ولعلّ الله تعالى يقيض رجالاً من رواد الحقيقة ورجالاً من رواد الشريعة ليتداركوا هذا الأمر الخطير ويردموا ما بين المسلمين من هُوّات واسعة عميقة. انظر كتاب التلال الزمردية: نحو حياة القلب والروح ١ .

لذلك استحق المفكر ورجل الإصلاح والتجديد في تركيا الأستاذ محمد فتح الله كولن أن يتصدر مكانه ضمن قائمة الشخصيات المائة في القمة الأكثر تأثيرًا في محيطها على الصعيد العالمي.

"إن أبرز ما يمكن أن نستفيده من هذه التجربة الرائعة هو الجدّية والتضحية في العمل، وضرورة توافر الكوادر المؤهلة علميا وروحيا، والعمل المؤسسي المنظم، وتقديم ثقافة العمل على التنظير... لتؤكد تركيا مرة أخرى للعالم أنها عائدة بقوة لإحياء روح الإسلام في ربوع الإنسانية..."

أخيرا وكما يقول الدكتور راغب السرجانى على موقعه الالكترونى "قصة الحضارة":

قلَّ أن يمرَّ يوم الآن ولا تجد ذكرًا لتركيا في وسائل الإعلام، وهو عادة ما يكون ذكرًا إيجابيًّا فعَّالاً، يُثبت بما لا يدع مجالاً للشكِّ أن تركيا قد عادت – وبقوة- إلى ساحة العمل الإسلامي، بل لا نبالغ إن قلنا: إنها أصبحت مرشَّحة بشكل واضح لقيادة القاطرة الإسلامية.

وليس الكلام الذي نذكره الآن كلامًا عاطفيًّا متأثِّرًا برؤيتنا لحكومة إسلامية تقود البلد، ولكنه مشاهدات حقيقية، وأرقام دقيقة، وإحصاءات جادَّة، وملامح واضحة، وكلها يصب في النهاية في حقيقة أن الأتراك عائدون بقوة، وقد لاحظ ذلك القريب والبعيد، والصديق والعدو، بل إن الجميع يُراهن على الحصان التركي، بما في ذلك الأمريكان والروس واليهود والعرب.

إنها عودة مباركة.. فأهلاً برجال الأناضول أهلا بالأتراك!!

دكتور محمد السقا عيد

استشارى طب وجراحة العيون

وعضو الجمعية الرمدية المصرية

نبذة عن حياة الأستاذ كولن " الناى الحزين"

تركيا بلد إسلامي لعب دوراً محورياً في تاريخ العالم عامة وتاريخ الإسلام خاصة، تعرض منذ نهاية القرن التاسع عشر لرياح الخماسين وأعاصير السموم، وإذا كان العرب قد قالوا: إن بيت الأسد لا يخلو من العظام!، فإن الوطن التركي رغم السنوات العجاف التي عاشها، إلا أن أرضه شهدت خلال هذا العصر ولادة نجمين من نجوم الفكر الإسلامي الوسطي العظيم.

الأول: ولد عام ١٢٩٣هـ- ١٨٧٣م في قرية نورس في شرق تركيا، وهو سعيد النورسي الذي أصبح أعجوبة زمانه، حتى تظافر الناس على تلقيبه بـ«بديع الزمان» ليطغي هذا اللقب على اسمه الحقيقي.

الآخر: فتح الله كولن ــ موضوع هذه الدراسةــ الذي ولد في ١١نوفمبر ١٩٣٨م في شمال شرق هضبة الأناضول التركية، ليصبح وارث التيار النورسي وحكيم الفكر الإسلامي المعاصر.

مولده

وُلد العلامة محمد فتح الله كولن عام ١٩٣٨ في قرية صغيرة في الأناضول، هي قرية "كسوروجك" إحدى قرى قضاء "حسن قلعة" بمحافظة "أرضروم" وهي إحدى بلدان محافظة "تبليس" الواقعة في أحضان الجبال الشماء، التي دخلتها دعوة الإسلام، واستقرت بها أثناء الخلافة العباسية، وامتزجت خلالها روح الإسلام بروح القبائل التركية الموجودة بهذه المنطقة.

فتح كولن عينيه على بيت عامر بالعلم والعلماء، فوالده "رامز أفندي" قد ورث العلم والأدب والدين عن جده "شامل أغا" الذي كان مثلا للجد والصلابة في الحق والصبر والذكاء.. وفي هذا البيت الرفيع تربى محمد فتح الله جولان.. ومع اللبن أرضعته والدته "رفيعة هانم" حب القرآن فقد كان يسمعه وهو بين يديها رضيعا حين تدرّس القرآن الكريم لنساء القرية.

في هذا البيت المبارك نشأ "محمد فتح الله كولن" وحفظ القرآن الكريم على يد والدته وهو دون الثامنة من عمره، وكان يختم القرآن كل شهر، حيث كانت أمه (رفيعة هانم) تثبت الحفظ لديه، ومن أهم وسائلها في ذلك أنها حين تقوم الليل توقظ معها ابنها ليؤمها في الصلاة تشجيعا له، وتربية في مدرسة القيام.

بيت شريف.. تربة خصبة.. زرع مستوٍ

ليس بعيدًا أن يكون هذا البيت مزارًا لطلاب العلم، ودارا لضيافة العلماء والمتصوفة المعروفين في تلك الفترة، حيث كان والده "رامز أفندي" يحب العلماء ومجالستهم، وهكذا تعوَّد "محمد فتح الله" مجالسة كبار مدينة "أرضروم".. حتى تلقى العلم على أفاضلهم كالشيخ "محمد لطفي أفندي"

ومن بعده الشيخ "عثمان بكتاش" الذي كان من أبرز الفقهاء في زمنه، حيث درس عليه جولان النحو والبلاغة والفقه والأصول والعقائد والأدب.

كما تعلم العربية والفارسية من والده المغرم بالقراءة والاطلاع، ومما يذكره أصدقاء رامز أفندي عنه أنه كان دائما يقرأ القرآن في غدوه ورواحه، ويترنم بآيات ومأثورات من الشعر العربي والفارسي، وأقوال الصحابة والتابعين، دائم الذكر والاستشهاد بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الأمر الذي زرع حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في قلب ولده منذ الصغر، لدرجة أنه لا يمكن دراسة شخصية "محمد فتح الله" إلا بعد فهم ما أورثه إياه والده "رامز أفندي" من حب النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام والتعلق بهم.. فهو الرجل الذي يرتجف قلبه ويختلج صدره وتدمع عيناه لمجرد ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الأكرمين.

وفي أثناء دراسته تعرف برسائل النور وبحركة طلاب النور، التي أسسها بديع الزمان سعيد النورسي، فاكتملت بذلك شخصيته من مواهب فطرية، ومعالم دراسية، وتربية منهجية، ومنحة إلهية توافقت مع استعداداته وقابلياته التي أودعها الله إياه فانطلق مع طلاب النور عالمًا ومتعلمًا مشرق الروح بعلوم الشريعة، مع إلمامه الموسوعي بالعلوم الوضعية من قراءة لفلسفة العصر كالوضعية والماركسية، والوجودية فقد قرأ "كامو"، و"سارتر"، و"ماركس"، و"شوبنهور" وهو ما كان له الأثر البالغ على فكره وآرائه.

كان حلمه وهو في الثانية أو الثالثة عشرة من عمره أن يسود الحب والعلم العالم، وكان يقول: كنت أحمل كتابا في يد وخريطة للعالم في اليد الأخرى سائلا ربي: "كيف يمكننا يا رب أن نصبح عالما يربطه الأمل والحب والعلم وقد حلت مشكلاته الاجتماعية؟". مجلة الغرباء

مجمع المواهب يبدأ في أداء دوره

ما أن بلغ "محمد فتح الله كولن" العشرين من عمره، حتى ترك مدينة "أرضروم" الموجودة

بأقصى الشرق متوجهًا إلى مدينة "أدرنة" التي تعد باب تركيا المؤدي إلى الغرب، حيث عمل هناك إمامًا في جامع "أوج شرفلي" حيث قضى في هذا الجامع سنتين ونصف السنة في جو من الزهد ورياضة النفس حيث كان يفضل البقاء بالمسجد، وعدم الخروج منه إلا لضرورة.

ثم جاء موعد أداء الخدمة العسكرية فأداها في "ماماك" و"إسكندرونة"، ثم عاد إلى "أدرنة" ومنها إلى "كركلار ألي".. وفي عام ١٩٦٦ ساقه القدر إلى "أزمير".. ومنها انطلق كواعظ متجول فطاف جميع أنحاء غربي الأناضول، بادئًا من مدرسة تحفيظ القرآن الكريم "كستانة بازاري".

في عام ١٩٧٠ بدأت أيام "المخيمات" التي كان يقوم خلالها باستجلاب مجموعات من الشباب الواعد الذي نذر نفسه لخدمة ربه ودينه، حيث يقوم على تربيتهم وتنشئتهم على طاعة الله والعبودية والثقافة الشاملة المتكاملة.. ثم يكلفهم بالانتشار في بقاع الأرض، فيتحركون بدعوة الإسلام، وكأن النفوس تستيقظ من سبات الموت.

ومحمد فتح الله كولن بالإضافة إلى ذلك يكتب الشعر وبطله الأساسي في شعره هو الفارس الذي يرثيه في أشعاره ويذرف عليه الدموع.. ويناجيه بين الجبال والوديان بقلبه المحزون وصدره المهموم وهو يرضخ بالحجارة، ويصطدم بالصخور، لا يثنيه ذلك عن دعوة الحق، وقول الصدق.. يناجيه "كولن" وكأنه يناجي نفسه، وقد حمله جواد الإسلام وانطلق بنور الحقيقة، وتسلح بالشوق لقاء الله وتزود بالعجز والفقر إلى رحمة الله الودود.

أزمير بلد السجن والحرية

في ١٢ مارس من سنة ١٩٧١ اعتقل الشيخ محمد فتح الله كولن بعد الإنذار العسكري الموجه من الحكومة آنذاك، وذلك بتهمة محاولة تغيير الأسس الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للنظام، واستغلال الشعور الديني للشعب التركي، وذلك بالقيام بتشكيل جمعية سرية للوصول إلى الحكم، ودام اعتقاله ستة أشهر، انتهت في أثنائها محاكمته، ثم أطلق سراحه، وعاد إلى وظيفته بعد صدور قانون العفو العام، حيث أرسلوه أول الأمر إلى مدينة "أدرميت"، ثم نقل منها إلى "مانيسا" ثم إلى بورنوفا في أزمير حيث بقي هناك في وظيفته هذه إلى شهر أيلول من سنة ١٩٨٠.

في تلك الفترة كان "محمد فتح الله كولن " يجوب البلاد طولا وعرضًا، يلقي الخطب والمحاضرات ويعقد الملتقيات والندوات التي يقوم فيها بتشريح أفكار العصر الفلسفية

والاجتماعية والفكرية المغلوطة، ويطرح البديل الإسلامي الميسور، ويرد على الأسئلة الحائرة التي تجول في أذهان الشباب ولا سيما شباب الجامعات، وأوساط الحرفيين والمثقفين، وهو ما أدى إلى التفاف العديد من أفراد الشعب حوله من جميع الأصناف والمهن، وانتداب أنفسهم لخدمة الفكرة الإسلامية بين يديه وفي ضوء إرشاداته ونصائحه، دون انتظار أي نفع دنيوي أو مادي، وضمن إطار القوانين المرعبة في تركيا بإنشاء المئات من المدارس ذات الأقسام الداخلية، ومدارس تهيئة الطلاب لدخول الجامعات، وتقديم الثقافة والتربية الإسلامية بالمجان التي حُرموا منها في مدارسهم وجامعاتهم.

انطلاقة مدارس النور إلى العالمية

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، انطلق طلاب النور ومريدو العلَّامة "فتح الله" في العالم بأسره تقريبًا، خاصة بلدان آسيا الوسطى، طارحين جانبًا تلك المناقشات الفرعية حول دار الإسلام ودار الحرب، وهل الشورى معلمة أم ملزمة، وهل تغيير المنكر في زماننا باليد أم باللسان أم بالقلب؟ وهذه الخلافات التنظيمية التي تظل الجماعات الإسلامية تتهارش وتتناحر حولها.

وانتشر تلاميذه في صمت وعمق، وأصبح هناك جيل يؤدي واجبه الخطير، شعاره الحب والصبر الجميل، وعدته العلم والإخلاص، لا وقت لديهم للخصومة والشحناء، همهم الأول التعاون والتساند والتجرد والثقة، وعدم مقابلة الإساءة بالإساءة، ولكن يعفو ويصفح.. وفي النهاية هو الرابح لجولة الحق مهما اختلت الموازين، وتعكرت الأجواء.

الانفتاح على الآخر.. أفق جديد للدعوة

سرعان ما شملت خدمات مدارس النور الساحات والمجالات المعاصرة، حيث أصدروا عددًا من الصحف والمجلات القوية، إلى جانب محطة للإذاعة ثم عددًا من محطات التليفزيون ودور النشر الحديثة التي أصبحت تنشر الإسلام من جديد بنسائم الحب والفهم والمرونة والحوار.

ومنذ عام ١٩٩٠ بدأ العلامة "محمد فتح الله كولن" حركته الرائدة في الحوار مع كل الفئات من الأعداء والفرقاء على أساس من التسامح والحب البعيد عن التعصب والتشنج، ووجدت هذه الحركة صداها في تركيا أول الأمر، ثم في العالم أجمع، إلى أن وصلت إلى ذروتها في الاجتماع الذي تم عقده في الفاتيكان بين الشيخ "فتح الله" والبابا إثر دعوة البابا له.. حيث يؤمن جولان إيمانًا وثيقًا بأن العالم قد تحول إلى قرية صغيرة فقيرة إلى العقيدة الصحيحة والهداية

الراشدة، ولا بد أن يتقدم أصحاب الدعوات الحقة نحو هذا الدور بالحق قبل أن يملأه غيرهم بالباطل.

ولذا فهو يرى أن واجب الانفتاح على الجميع مهما كانت أفكارهم أو عقائدهم أو مبادئهم.. قد أصبح واجبًا الآن، لا سيما بعد هذا النظام العالمي الجديد الذي وضع المسلمين عنوة في خانة الأعداء الذين يجب محاربتهم.

ولقد بدأ "فتح الله" من تركيا، حيث فتح أبواب الحوار والمسامحة على مصاريعها لتفويت أغراض المتآمرين على تمزيق المجتمع التركي بالخلافات العنصرية والقومية والمذهبية والطائفية والفكرية، ثم نشر الدعوة إلى الحوار والتسامح إلى جميع الأماكن التي يمكن الوصول إليها خارج تركيا، ليطرح بذلك دعوة عريضة للإيمان في مواجهة الكفر، والحق في مواجهة الباطل والعلم في مواجهة الجهل والخرافة.. معتمدًا على نور الإيمان وحقائقه في مواجهة السراب الخادع الذي يقود حضارة القوة الغشوم.

الانشغال بالتربية لا يوقف قاطرة الفكر

ولأن الداعية الفريد "محمد فتح الله كولن" يقف على رأس القائمة العلمية اليوم من رجال الفكر والدعوة والحركة والنظام والتنظير؛ لذا فإنك تعجب كيف اتسعت حياته المملوءة بالتربية والتكوين والإعداد لما يمكن أن نسميه بلا مبالغة "جيش النور" أو بما لا يدع له دقيقة من عمره لهذا العطاء الفكري الضخم الذي وضع به المكتبة الإسلامية المعاصرة ككاتب وفنان وشاعر.. ولا يمكن أن يخطر على البال أنه يمكن أن يبدع هذا النتاج الوفير من آلاف الأشرطة والمحاضرات والخطب المسموعة والمرئية، وعشرات الكتب الرصينة المتخصصة العميقة في شتى فنون الفكر والثقافة.

يذكر له التاريخ الدعوي المعاصر أنه الرجل الذي نزل بدعوة النور إلى الشارع التركي المسلم فأيقظه من سبات، وأحياه من موات.. وبه وبتلاميذه أصبحت الدعوة الإسلامية اليوم حقيقة واقعة في ملعب الكرة كما هي في مدرجات الجامعة، وفي صالونات الفنانين والشعراء كما هي في كراسي الأستاذية وقاعات البحث، وتغلغلت في الأسواق ومراكز الشباب مثلما تألقت في أكاديميات العلوم ورسائل الدكتوراه.. وبدلا من أن تنتهج "جيوش النور" منهج التغيير بالسيف والرصاص.. أصبحت تملك التغيير بالمصحف والقلم الرصاص. عن موقع : اسلام أون لاين.

يقول الدكتور سلمان العودة (المشرف العام على مؤسسة الإسلام اليوم / السعودية): يعيش الأستاذ فتح الله الآن في أمريكا، لكنه يعيش في تركيا في الوقت ذاته، روحه موجودة في تركيا. هناك أتباع وتلاميذ اقتبسوا هذه الروح العالية عن "فتح الله كولن".. مستشفيات، مدارس، مساجد، مناشط... شيء مُذهل. كلّه يعود الفضل فيه بعد الله إلى هذه الروح التي بثّها هذا الرجل: "فتح الله كولَن.. هو صاحب سلوك إيماني، وتصوف صافٍ، بعيداً عن الغلو والانحراف. صاحب فقه واهتمام بالفقه، صاحب عناية بالحديث.. وهو أيضاً أديب وشاعر ومثقف وفيلسوف ومفكر وواعظ ..كان يحضر درسه الآلاف، ومع ذلك أوقف هذه الدروس بكل هدوء، واستمر في مثل هذا العمل الهادئ العظيم المؤثر.. فوجدنا تلاميذه، ووجدنا بصماته، ووجدنا قدرته على التأثير؛ ولذلك هو أبو "الإسلام الاجتماعي" في تركيا، أبو "الإسلام الوعظي". الحرص هنا على الروح الإسلامية الواعية القوية، وفي الوقت ذاته الحرص على العلم المدني الحديث .نحن أمام تجربة فريدة لا توجد في العالم العربي، ربما ولا حتى -أظن- في الكثير من بلاد العالم.. مجموعة من الشركات المؤسسات؛ مؤسسات إعلامية، اقتصادية، تعليمية، تربوية، مساجد، مناشط، مدارس، آلاف المدارس داخل تركيا وخارجها. وهذا، الحقيقة في جو كجو تركيا شيء عجيب...

إن سيرة الأستاذ فتح الله كولن تؤكد بما لا يدع مجالا للشك قضية محورية في المنظور الإسلامي وهي الصلة الوطيدة بين صلاح الفرد وصلاح الأمة.

سيرة الأستاذ كولن تثير قضايا تربوية عديدة في زمن صار فيه الجميع ينعى أجيالنا الصاعدة؛ ومن بين تلك القضايا محورية المثل الأعلى في بناء وجدان ونفسية وطموح الأطفال والشباب.

أضوا ء على شخصية الأستاذ فتح الله كولن

إنَّ فتحَ الله كولن يملكُ شخصيةً معنوية وفكرية قوية، قد عَرَكَتْه تجاربُ سنين طويلة في دنيا الفكر، فوقَفَ بشكلٍ مهيبٍ يخاطِبُ هذا العصرَ الذي ضعُفَتْ فيه الروحُ والفطرةُ السليمة وضعُفَ فيه الإدراكُ الصحيح.

ولا يَحُسُّ الأشخاصُ القريبون منه -في ظلِّ الثِّقَلِ الفكري والمعنوي له- بالراحة؛ لأنَّ عليهم أن يكونوا يقظين على الدوام وفي جوٍّ روحيٍّ عميق.

ولا يُمكِنُ الولوجُ إلى عالَمِه بأحاسيس ومشاعر تَميلُ إلى الدنيا وإلى متاعِها الماديّ ومصالحِها ومنافعِها.. فلكي تَلِجَ إلى عالَمِه عليك أن تتجاوَزَ حدودَ عالَمِك الشخصيِّ وتتعدّاه.

وبالمقابل، هو أيضًا لا يُساعِدُنا كثيرًا على فهمِه وتحليلِ شخصيّتِه بعُمْق، لأنه يقومُ بإخفاءِ العديدِ من الأمورِ المُتعلِّقة به ويستُرُها، بسبب تواضعِه الجَمّ .فتح الله كولن.. جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية بقلم: محمد أنس أركنه.

رجل لاينام

ومن كتاب الضاربون في الأرض للأستاذ أديب ابراهيم الدباغ تحت عنوان رجل لاينام نقرأ مايلى: وكيف ينام ويخامر جفنيه الوَسَنُ مَن تتوالى طرقات المعذَّبين من أمّته على نافذة روحه...؟

وكَيفَ يغْمضُ له جَفْنٌ مَنْ يُوقِرُ سَمْعَهُ أَنّاتُ التائهين في بيداء الضلال من أمته...؟

وكيف يأوي إلى الفراش ناعمَ البال وقريرَ العين مَنْ قلبه مُوجَعٌ بصرخات المسحوقين حتى العظم من أبناء جلدته...؟

وكيف يطيب له الرقاد مَنْ يرى إيمانَ أمَّته في خطر، وإسلام شعبه تعمل فيه معاول الهدم والتخريب...؟

وكيف يُسيغُ حُلْوَ المنام مَنْ يرى أبناء وطنه وهم يَغَصُّونَ بمرارات الذُّل ويقتاتون على فُتَاتِ الغرباء...؟

وكيف لا يأسى ويجافيه النَّومُ، ويذوب قلبه كمدًا، مَنْ يرى ما بَنَتْهُ الأُمَّةُ من أمجاد بالجهد والعرق والدماء وهي تتهدَّم لَبِنَةً من بعد أخرى...؟

متى ينام... وكيف ينام... مَنْ يرى أمَّةً قامت قيامتها قبل يوم القيامة، وانطفأَ تاريخها قبل انْطفاء تاريخ العالم...؟

أيَّةُ وِسَادَةٍ ولو كانت من صوان يمكن أن تحتمل ذهنًا تثقله الأفكار، وتتلاطم فيه مشاريع انبعاث أمَّةٍ من موتها من جديد...؟

وكيف لا يتجافى جنباه عن المضاجع وفي روحه بَحْرٌ من دُرَرِ القرآن يمكن أنْ تغير العالم وتقلبه رأسًا على عقب لو قُدِّرَ لها مَنْ يفهمها...؟

هذا هو الشيخ "فتح الله كولن"... مُمَزِّقُ الظلام... ومُهْتِكُ أستار النَّوم... إنَّه قُوَّةُ إدراك... وصحوة إيمان... وطاقة حياة... وبطَل كفاح... وعبقري فكر... ومُلْهِبُ أذهان... ومُفَجِّرُ قلوب... والباحث عن جوهر الإنسان في مناطق نائية من الروح... كلماته مذاب روح... وإشاراته نِثَارُ قلب... إنَّه النفير الصارخ الذي يوقظ موتى الإيمان ...

داعية الإيمان ورجل الأمن والسلام

"فتح الله كولن"، مفكر تركي معاصر؛ رفيع الفكر، وَضَّاء الروح، سامي الضمير، يقظ الفؤاد، مَوَّار الذكاء، خصب العطاء، ذو روحية دينية عميقة وواسعة، غير تقليدية ولا نمطية... ترتفع مصعدة حتى تلامس أصفى ما في سماوات التصوف من نقاء، ثمَّ تعود لتتسلق أعلى درجات الفكر، وأسمى ما وصل إليه العقل عن علاقة الإنسان بالكون والطبيعة والحياة. إشعاع قواه النفسية والفكرية إلى مَن حوله يزيدهم ثقةً به، والتفاتًا إليه، وتقربًا منه؛ وعلى الرغم من أنَّ أعماقه فوَّارة بالأسى على حال المسلمين غير أن فكره يفيض دومًا بالضياء الهادئ الجميل ليصبح أنسَ الخائفين، وهديَ التائهين، وقوتًا لجوعى الأرواح، واصطلاءً لمقروري الأنفس، ونورًا لديجور القلوب، وفجرًا لليالي العقول..

ذو ملكة إيمانية تملك عليه أقطار نفسه، وجوانب فكره، تجدها ظاهرة واضحة الظهور في كتاباته إذا كتب، وفي أقواله إذا قال، أو تحدث أو وعظ... إننا نستطيع أنْ نتخيله مجردًا من

كثير من خلائقه، ولكن يستحيل علينا أَنْ نتخيله مسلوبًا من ملكته الإيمانية، لأنها جزء من نفسه، وقطعة من كيانه، وشطر من قلبه، وفلذة من فلذات روحه، مفطور عليها، ومولود بها، تصحبه ويصحبها.. إذا حزبه أمر، ونزلت به النوازل، وادلهمتْ عليه الخطوب، آوى إليها، وبها اعتصم؛ فإذا به رابط الجأش، واسع الصبر، قوي الاحتمال، مع إمعان نظر، وعِظَم ثقة، وطيب نفس، وبسمة أسف وأسى.. ركين لا تهزه العواصف، ولا توهنه الأزمات.. عنه يأخذ الآخرون العزائم، فيشدُّ عضدهم، ويزيد من صلابة إراداتهم.

في طوايا روحه قوة خافية لا تتكشف إلاَّ عند الحاجة إليها، إنها قدرة وقوة محيرة، فلا نعرف أيَّ أنواع من القدرة هي، أهي قدرة على الخلق والإبداع، أم قدرة على العزيمة والمَضاء، أم هي قدرة جَذَّابة تجذب البعيد حتى يقترب، وتطوي القريب حتى يلتحم؟! وهي في كل الأحوال تشي بعبقرية الرجل، وتنبّئ عن عظيم إنسانيته. من كتاب الضاربون في الأرض للأستاذ أديب ابراهيم الدباغ تحت عنوان : فتح الله كولن: داعية الإيمان ورجل الأمن والسلام .

رجل الايمان والدنيا

ذهنه بأفكار إيمانه فَوَّار... وقلبه بمشاعر اليقين مَوَّار... ليله قيام... ونهاره صيام... وإذا جَدَّ الجد فهو مقدام مغوار... والدُّنيا دُبُرَ أُذُنه... وتحت قدمه... هي عنده تراب فوق تراب... منْــزل للمارين.. ومحطَّة للمسافرين... الكُلُّ يغادرون... ويمضون... وعلى شيءٍ لا يلوون... مَنْ أحبَّها بحبها قتلَتْه... ومَنْ هام بها هَوَّمَتْه... وحيّرته... وفتنَتْه... وبجمالها الخادع كبَّلته... وقيدتْه... وعبدًا لها جعلتْه... والعسلَ بالسُّمِّ سقَته... لو كرَّعَتْهُ بحارها... وسقته أنهارها... ظامئًا يظلّ روحه... وعَطِشًا يبقى فؤاده... نيران وَجْده لا تنطفئ... وحرقات أشواقه لا تبترد... وناي حنينه لا يني يرسل الأنين... ويبعث الدمع السخين... أشجانه تملأ آذان الليل حزنًا وأسًى... وزفرات هَمِّهِ تشعل النار في سدول الدُّجَى... وأذيالِ الماشين في الظُّلَم!.. من كتاب الضاربون في الأرض للأستاذ أديب ابراهيم الدباغ تحت عنوان : رجل الايمان والدنيا .

قالوا عن الأستاذ محمد فتح الله كولن

الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ :

إذا نظر إليكَ سَطَعَتْ عيناهُ بوَميضِ فكره... وإذا جلستَ إليه أَحسَستَ بلهب روحه، وهو يكاد يُشعِلُ نارًا في كيانكَ كُلِّهِ... فؤاده نار تتلظى... وشوقه لَهَبٌ يَتَسَعَّر... صاحب حزن وأسى... نفسُهُ مُفْعَمَةٌ هياما... وشيءٌ في روحه كثير التَّوَهُّجِ والأَلَق... هائل العظمة... شامخ السُمُو... إذا انتَشَى بكى... وإذا تألَّمَ لأمَّتِهِ بلَّلَ الأرضَ دموعًا... له في ملكوت البشرية الروحي مكان الصدارة...

إذا وقع نظره على بُؤرة من بُؤر "سَدُوم" زَفَرَ وَصعَّد آهةً حرَّى ولسان حاله يقول: انْجَحِري عنَّا أيّتها البؤرة اللعينة... ليس لكِ هنا مكان... أجئتِ لتعيثي في روح الأمّة فسادًا... وتزيدي جروحها جروحًا...؟!

نوراني القلم... عرفاني العطاء... إلهي السريان... لؤلؤي الشفافية... يعلو آكامَ العقل العَصي... ويتوقل غوارب النفس الشَّموس... فيفعمها بالخِصبِ... ويترعها بالخضرة الماتعة!...

طاقة ذكائه لا تنفد... له في كل يوم جديد ذكاءٌ جديد... ونظر في الأمور جديد... إلى الأمام ينطلق دومًا... وإلى الخلف لا ينظر... إنه ليس برقم في حسابات المجتمع يمكن شطبه إذا أراد مَن يريد... إنه طاقة روحية ذات امتدادات في أرواح الناس وعقولهم... قد تختفي كلماته... وقد تُمحى كتاباته... لكنه يبقى موجودًا في العقول والأرواح، لا أحد يستطيع أن يورده موارد العدم... إن نشاطه الروحي يُشعر المجتمع بأنه لا زال حيًّا... إنه الروح الذي يبعث الحياة في صرعى الدنيوية المقيتة.

الفكر والحياة هما مثار اهتمام ذهنه وقلمه... الفكر وحده منفصلاً عن دورة الحياة لا يجدي كما يرى... ولا الحياة مجدية إذا كانت منفصلة عن دورة الفكر... بل لا بُدّ منهما معًا... نحياهما معًا... ونتعايش وإياهما معًا... وبنفاذ أحدهما بالآخر يخصبان، ويؤتيان بالثمار.

فالإنسان عنده ليس بأكثر من فكر وحياة... وكلما زاد تلاحمهما زادت إمكانية صنع الإنسان السوي الذي تسعى العقول الكبيرة إلى صنعه!..

إنه رجل تنفيذ لا مجرد رجل تفكير... يهوى الفعل لا القول... إنه -إن شئت- رجل عقل وفكر، وهو في الوقت نفسه رجل وجدان وقلب... يجمع بينهما فيما يقول أو يفعل...

يملك الشيخ قلمًا صبورًا لا يَمَلُّ... وذهنًا دؤوبًا لا ينصب... إنه يجهد جهده وكأنّ الجهد شيءٌ معجون بدقّات قلبه ونبضات روحه، بل هو حياته التي لا حياة له من دونه... فلأحزان قلبه أهمية مغيبة ذات رفعة ملائكية وهي التي تقود خطاه إلى أعظم أفكاره وأجلّ أفعاله محاولاً أن يجلي للأنظار المغزى الكمين، والهدف المقصود في الكون والوجود.

بعضهم قال: إنه شهيد على الأرض يحيا... في نيران المحن أُلقي حتى لكأنه بدمه يسعرها ويغذوها... يستهلك ذاته كُلّها في محبة الإنسان... ويعتصر قلبه حتى في أولئك الذين لا قلب لهم!...

ورآه آخرون كما يرون لأول مرة شيئًا غريبًا لغزيًّا بالغ الغرابة... يستعصي على الفهم والتصديق... وكذلك القبول!...

وآخرون قالوا: إنه دفق شعور فيّاض... ودّيٌّ حبيب متحبِّب... هين لين لكن في قوة... ودود لكن في حزم... متواضع لكن برفْعة... سهل ممتنع صعب المرتقى... لا تتقحمه العين... ولا يتوقح في حضرته النظر!...

وأيُّ عظيم من عظماء التاريخ لم يتناقض النّاس في النظر إليه...؟! موقع فتح الله كولن.

الدكتور إبراهيم البيومي غانم (المركز القومي للبحوث الاجتماعية - القاهرة - مصر).

الشيخ محمد فتح الله كولن اجتمعت لديه مؤهلات الداعية الناجح، وملكات المجتهد المجدد، ومهارات القائد المحبوب. له عقل الإمام محمد عبده، وفروسية الإمام سعيد النورسي، وحركية الإمام حسن البنا، وعاطفة سيد قطب... أخذ منهم وأضاف إليهم وهو هو "محمد فتح الله البسّام .تلامذته باسمون وهم يعملون دوماً، ولكنه لا يكاد يبتسم إلا نادراً، وجل أحاديثه وخطبه ومواعظه مبللة بالدموع. عيناه اللتان أجهدهما طول السهر والبكاء تمْتلئَان بكثير من

العطف والإشفاق على ما آلت إليه أحوال إنسان الأمة الإسلامية، وإنسان العصر الحديث عامة.

الدكتور فؤاد البنا :

إن شفافية روح الأستاذ "كولن" جعلته بكّاءً حتى لقبه بعض محبيه بـــ"الناي" لكثرة معزوفاته البكائية، لكن ليس البكاء على الأطلال بل البكاء الذي يحيل الانفعال إلى فاعلية بفضل "الأفكار" الرشيدة، التي صارت "أفعالاً" سديدة وصلت به إلى منتهى الفاعلية. مقال بعنوان: فتح الله كولن.. حكيم الفكر الإسلامي المعاصر.

الدكتور فريد الأنصاري- رحمه الله-:

فتح الله كولن سيرةُ بكاء! لقبه الأسري: "كُولَنْ"، ومعناه "الضحاك" باللسان التركي، وهذا من عجائب الأضداد، ومن غرائب الموافقات أيضا! فهو بَكَّاءُ الصالحين في هذا العصر، لكنه ما بكى إلا ليضحك الزمان الجديد، وليزهر الربيع في حدائق الأطفال. ما رأيت أحدا أجرى دمعا منه، ولا أكثر ولَهًا.. وكأنما دموع التاريخ جميعا تفجرت أنهارها من بين جفنيه..!

ولقد أخطأ من ظنه يبكي ضعفاً أو خَوَراً، وإنما هو جَبَلٌ تشققت أحجاره عن كوثر الحياة الفياض، فبكى..!

الوعظ سر من أسرار فتح الله! فلم يزل منذ طفولته يبكي بمجالسه؛ فتبكي لبكائه كل عصافير الدنيا! ولقد رأيته يبكي طفلاً وشاباً، ثم كهلاً وشيخاً! ولم يزل يبكي ويبكي.. وما جف لتدفق شلالاته نَبْعٌ! بدموع مواعظه الْحَرَّى سقى فتحُ الله كل غابات بلاد الأناضول! وبها أروى عطش الخيل، وأطعم فقراء الليل! وبوابلِ بوارقها سقى كل صحاري العالم! ولقد عجبتُ من أي جبال الدنيا تخرج منابعه؟

ورحلتُ إلى طفولته؛ فلعلي أعثر على بدء تلقيه كرامات الأسرار وكيف؟

ولقد رأيتُ يا سادتي عَجَباً!.. كانت أسراب النحل تقتات من مَجْرَى مدامعه، فتنشئ آلاف الخلايا في كل مكان..! من كتاب عودة الفرسان آخر مدونات الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله.

الأستاذ منتصر الزيات :

كولن ... بكّاءٌ بامتياز، لا يتكلم إلا وهو يبكي، لا يقرأ القرآن إلا وهو يبكى. هذا الرجل البكّاء الذي ما أن يسمع اسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى تجد عيناه وقد أغرورقت بالدموع وأجهشت بالبكاء حباً في لقائه وحزناً على ما آل إليه حال المسلمين من بعده، وهجرانا ونسيانا للمهمة الأولى التي شرفهم الله بها وهي تبليغ هذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها . من مقال : فتح الله كولن... أسطورة الدين والمال والسياسة للأستاذ منتصر الزيات .

البكاء والضحك عند كولن

يدق الأستاذ "محمد فتح الله كولن" من خلال فكره على أبواب القلب، يطرق ويديم الطرق: "اِفتحْ يا قلب... دعني ألج بكلماتي إليك... دعني أُعالج أغلاق خزائنك... دعني أكشف عن أسرار مداخلك... دعني أطلق قواك الخفية... وأُدير مفتاح الفهم عن الله في روحك... دعني أبتعث فيك مواجيد الحنين... دعني أنفض عن أهداب روحك نعاس السنين... دعني أشقّ أكفان الموت عنك... دعني أبدد ضبابيات الأرض التي تغشى وجودك... دعني أنقش صورة الآخرة على صفحة الشغاف منك... دعني أعَرِّف ذاتك بذات الكون... دعني أعقد معرفة بينك وبين الطبيعة، وصلحًا بينك وبين شقيقك الإنسان"!..

والأستاذ فتح الله كما هو قمّة عالية في أفكاره الإيمانية والدينية، فهو كذلك قمة عالية في قدراته الأدبية والفنية، يجمع بينهما بجدارة واستحقاق، ومن هنا تأتي كتاباته مزيجًا من الاثنين معًا، فتتميز وتنفرد مذاقًا وأسلوبًا.

فمجموعة مقالاته الافتتاحية في مجلة "رشْحَة (Sızıntı) "الشهرية، تؤكد ما ذهبنا إليه من هــذا المزج بين القدرة الدينية والقدرة الأدبية عند هــذا الرجل، يعالج فيها قضايا إيمانية عظيمة الأهمية بأسلوب أدبي رشيق يستطيبه وينجذب إليه القرّاء مهما كانت مستوياتهم الثقافية والفكرية.

وأفكار "كولن" كيانات حيّة تنبض بالحيــاة، لأنها بعض نفسه، وبعض من فلذات روحه وقلبه.. زَقَّهَا حباتِ الروح، وســقاها دم القلب قبل أن تنضج وتستوي وتأخذ طريقها إلى عقول القرّاء وقلوبهم.

ولا شيء من الوصف يصدق على الرجل كما يصدق عليه وصْفنا بأنه روح عظيم حَوَّامٌ فوق عظيم الأفكار بدافع من شرف المحتد، ونبل الخُلق، وطهارة الضمير، وهو كثير الانطلاق إلى مواطن الذكرى من التاريخ الذي ينتمي إليه، حتّى غَدا قلبه غابة شجن وَوَجْدٍ، ودمعه ينبوع حرقة وكمد، يكاد يتمزق عندما يمُرّ على أطلال حضارة كانتْ يَوْمًا مَا مِلأَ عين العالم وسمعه، أو يُقَلِّبُ صفحات دين مهجور جفاه أهله، ونأى عنه القريب قبل الغريب، وجهل ناسه مواطن العظمة فيه فنسوه وأهملوه.من كتاب الضاربون في الأرض للأستاذ أديب ابراهيم الدباغ-عنوان منطلقات القوى الروحية في الإنسان.

موازين في فكر الأستاذ - من كتاب الموازين

جيل البكاء والضحك

تحت هذا العنوان يقول الأستاذ: ما أسوأ حظ من تقدم به العمر ولم يصل بعد إلى فهم وشعور العبودية لله تعالى! وما أكثر خسرانه مع تيسر الربح له. ولو أدرك هذا لكان الأجدر به أن يبكي بحرقة وينتحب ندماً وأسى بدل الضحك والقهقهة.

البكاء هو محاولة الأرواح الحساسة القيام بالتسرية عن نفسها وإطفاء النار المتوقدة في الضمير بدموع العين. ولكن تعال وانظر فإن معظم الناس يضحكون بدل أن يبكوا، ويبكون بدل أن يضحكوا

عندما يشتعل الروح يشتوي الوجدان ويتقد، عند ذلك يبدأ الإنسان بالبكاء. في هذه الأثناء تهرع الدموع للنجدة فتطفئ لهيب الروح وأنا أعتقد بأن العلاقة بين عين الماء (أي النبع) وبين عين الإنسان هي هذه العلاقة.

روح مشتعل، ووجدان ملتهب، بالدمع أطفئه... فعينك إذا اغرورقت بالدموع هي صنو العين إذا الماء عنها تفجَّر، ولهبَ الصحراء أطفأَ وسقا!.

عندما لا يحترق القلب شوقا، والروح عذابا، والذهن همًّا فلا تتكلم! وإلا فلن تجد أحدا يصغي إليك.

في الأسحار، وبين المحاريب، فَتِّشْ عن رجال الطريق... هؤلاء لا يخذلون، ولا ينكصون... وإذا ما توعَّرَتْ الطريق وطالتْ واستوحشت، فهم المؤنسون المساندون، وعنك يذودون، ومعك كلَّ صعب يقهرون!.

يومان لكل إنسان

نحن نؤمن بأن لكل إنسان يومين... يوم اعتيادي يعود إليه، ويوم آخر يعود إلى الأجيال القادمة. وإذا كنا نبكي وننتحب من مصاعب اليوم الأول، فإن قلوبنا مفعمة بالأمل والسرور لليوم الثاني ثقة منا بالرحمة اللانهائية للرحمن الرحيم وبعنايته الواسعة

حين يبكي الرجال

هل يبكي الرجال؟ نعم يبكي الرجال إذا ما آذتهم الأحزان وسحقتهم الآلام واعتصرتْ دموعَهم الفواجعُ والنوازل... ويبكي الرجال إذا شفّهم الوجد، وعلَتْ صراخات أرواحهم، وصدقت تضرعاتهم إلى الله تعالى في محاريبهم وصلواتهم... فهذا البكاء لا ينقص شيئاً من رجولة الرجال، ولا هو مما يعيب إذا كان صادقا طاهراً لا تشوبه شائبة رياء أو سمعة.

ومثل هذه الدموع تتفجّر عن فرط قوة خزينة في النفس ورحمة مزجاة في الضمير، وعن رهافة في الحس ورقة في الشعور... فهي شديدة التأثر بالخطب اليسير، ناهيك عن الخطب الجسيم، فلا عجب إذا ما رأينا كاتب القلب الحزين والروح الجريح، الأستاذ "فتح الله كولن" وهو يفتح موسم الأحزان بمقال رئيس يعلن فيه أنْ لابد لأصحاب الرسالات الكبرى من مواسم بين وقت وآخر، يعودون فيها إلى نفوسهم، ويستخرجون من كوامنهم ما تراكم فيها من أحزان وآلام لمزيد من التطهر النفسي والروحي، فلا شيء يطهر النفس من خطاياها وأخطائها كما تطهرها الدموع والآلام.افتتاحية العدد العدد ١٥الخامس عشر: من مجلة حراء- اصدار أبريل- يونيو ٢٠٠٩.

مقتطفات من مقالات فتح الله كولن عن البكاء والحزن

طويلا بكينا

ومن المقال الرئيس للعدد الثامن والعشرين لمجلة حراء نقتطف مايلى :

أضحى البكاءُ قدرَنا.. ما عرفنا غيرَ البكاء منذ سنين وسنين.. بكينا على إنساننا الذي مات، وعمراننا الذي تهدّم، وبَيدرنا الذي انتُهب، وآمالِنا التي هوت قواعدُها، وشجاعتِنا التي خبا أوارُها. إن الغربي الذي حسِبنا أن لديه مصباحَ حياتنا، كان قد ارتمى على مصطبة النعش قبلنا بكثير. إنه مات في ذلك اليوم الذي هبّ فيه "نيتشه" ليُردِي الإلهَ لباسَ الموت معلنًا في وهمه أن "مات الإله".. إن الميت لم يكن سوى الغربي نفسه، وإنساننا المسكين معه.. إنساننا الذي غرق في المستنقع من حيث ظن أنه خرج من السجن ناجيًا.. إنساننا العابث المتفلّت الذي تمرد على كل شيء وأنكر كل شيء. أيّ سجن ذاك الذي زعم أنه ناجٍ منه، وأيّ غنيمة تلك التي حسب أنه نائلها؟! هيهات هيهات... لا مِن سجنٍ نجا، ولا من حظٍّ نال.. لم يتغير إلا إيقاع الحياة لديه، وظل يسمع الصخب نفسه، لكن في نمط آخر هذه المرة.

ثم انطلقنا نبكي سنين طويلة تائهين هائمين، وسالت عيوننا سيلاً وتدفقت كالشلالات تدفقًا.. بكينا على عمراننا الغابر وعلى مجدنا الضائع بكاء أيتام حُرِموا الأبَ والأم معًا. أبَى الصديقُ أن يدنو من الوفاء، وأبى العدوُّ أن يَشبَع من الجفاء.. كان الزمان مقطّبا عبوسًا وكنا مفلسين أيما إفلاس.. ومن ثم لم نبرح البكاء ليل نهار.

هتفنا متألمين وعرضنا حالنا على ديوان سام رفعنا إليه شكوانا بالدموع والأنين. أجل، عقدنا رجاءنا على مالك الملك وصاحب مقاليد كل شيء.. وسعينا وراء آمال عالية علوّ المآذن رغم قصر طولنا وقزامة قاماتنا.. سعينا نترقب ذلك اليوم الذي يزأر فيه الأسد الجريح زئيرًا يدوي في الأرجاء قائلاً: "الويل لكم، تشتتوا".. آمنّا بنافخ الروح في آمالنا، ومانح القوة لأقدامنا.. آمنّا بأمتنا.. آمنّا بإنساننا. كنا نسمع أنغام التفاؤل في كل ريشة نضرب بها أوتارَ قلوبنا، ونرى أمام أعيننا تلألؤ الأنوار تحتفل بانبعاثنا.

هذا، وبينما كنا نصارع ألف دوامة ودوامة، إذا بأنوار الفجر قد بزغت في الآفاق تبتسم لأجيالنا. مع ذلك لم نكفّ عن البكاء.. بكينا البارحة على خرائب الديار، واليوم نبكي على تفتح الرياض بالأزهار.. نبكي أن قد تلاشت الغيوم العابسة.. وأخذت سماؤنا بعد أن جفت منها العيون تهطل

بالأمطار.. وتضوعت روائح الربيع الشذيةُ في أرجاء أراضينا.. وهلل الكونُ والمكانُ بانبعاث جديد. إننا نبكي وقد رأينا أفراخًا تقفز هنا.. وبراعم قد لبست أزياءها هناك.. ونبكي على ألف أنين وأنين هنا.. وألف مخاض ومخاض هناك...

نحن غرباء العصر.. في أيادينا باقة من الورد.. عيوننا تُمِدّ الورد بقطرات من النّدَى.. نقف أمام باب من استعجل المجيء في قرّ الشتاء لِنزفّ إليه البشارة الكبرى.. "ها هي الأزهار قد لبست أحزمتها، وتفتقت البذور عن سنابلها، وأبرزت الوردة غمّازاتها بدلال، وصدح البلبلُ بتغاريده الشجية، وغمرت بهجة الربيع كل مكان. إننا، إذ جئناك بأزهار تسببنا في ذبول بعض منها، وقد كانت بذورها تنبض بالحياة حين نثرتَها بيديك.. فنرجوك.. نرجوك ألا تَلُومنا ولا تؤاخذنا، إذ إن السلطان يجمُل به سلوكُ السلاطين، والعبد يليق به سلوك العبيد. نحن غرباء هذه الحقبة البئيسة.. عصفت بنا عواصف عاتية.. فلم نستطع أن نسمو إلى مراقي القلب وآفاق الروح، فيستقرّ على السكينة والصفاء قرارُنا.مولاي، لا تحرم عبدَك من عنايتك، وامنحه رعاية من رعايتك...

مجلة حراء -العدد: ٢٨ -يناير – فبراير ٢٠١٢- المقال الرئيس للأستاذ كولن - الترجمة عن التركية: نوزاد صواش.

هذا موسم البكاء

من مقال له بعنوان : هذا موسم البكاء نقله الى العربية الدكتور نوزاد صواش نقتطف منه بعض الدرر التى تستحق أن تكتب بماء الذهب ، يقول الأستاذ كولن: عندما تجيش بعض العواطف في أعماق القلب من حزن وأسى، وفرح وسرور، ورحمة ورأفة، وتهَيج فتغدو سُحبا متراكمة؛ فإنها لا تلبث أن تنهمر بوابل من الدمع عبر العيون. فالآلام والهموم، والفراق والوصال والحب والأشواق، والآمال والتطلعات.. جميعها تثير شَجَنَ البكاء عند أولي المشاعر المرهَفة ممن سعدوا بمحبة الرفيق الأعلى في رياض القلب وآفاقه، وتستدرّ دموعهم، ولكن ما من شعور تجود له عيونهم بغزير دمعها كمثل الشعور بالخوف من الله ومهابته، وإجلاله وتوقيره.

أما الدموع الأخرى، فهي تنحدر من ماهية الإنسان الجامعة لجانبي الجسد والروح؛ فهي طبْعية، شائعة، لا تَمُتّ إلى أنّات الضمير وأشجانه بصلة، ولا تبلغ مرتبةَ الدمع السامي أبدا.

فإذا كنت تروم دموعا انبثقت من أرض الإيمان والعرفان، وهاجها الحبُّ والوجد والشوق، فهذا يقتضي معرفة بالحق جل وعلا، وإحساسا به عند كل كائن، وتشوُّفا لوصالٍ مجهولِ الأوان ليلا ونهارا، ووَجَلا من مخافته وارتعادا من مهابته، وتخشُّعا عميقا بين يدي حضرته العلية. وهذا اللون من الدموع نادر عزيز، لم يحظَ بمثله إلا ثلة من السعداء.. كما أن استمراره منوط بأن تقرأ آثاره تعالى في كل شيء، وتحس به في كل شيء، وتبحث عنه في كل شيء، وتعرفه لدى كل شيء، ويذكره لسانُك عند كل شيء.

إن المرء إذا عرف شيئا تعلّق به.. فإذا ازداد التعلق انقلب حبّاً ثم وجداً وولَعاً يسلب فؤادَه، ويأخذ بمجامع قلبه. وإنّ عاشقا في مثل هذه الحال لا يقرّ له قرار ولا يهدأ له بال، يتيه من صحراء إلى أخرى، يئنّ ويبكي على "ليلاه". فهو في عمل دؤوب وتعبئة لا تَنِي لكي يتسامى على حالة "البعد" التي تخيم عليه.. ومن ثم يتتبع الآثار التي تتحدث عنه سبحانه، ويتدبر العلامات دون سآمة أو إعياء، يناجي كتاب الكون حينا، ويحنو على الأشياء والأحداث حينا آخر، يقرؤها على أنها رسائله جلّ وعلا، يتنسم أريجها، ويكحل عينيه بجمالها.. وفي أحيان أخرى يخفق قلبه لسماع عبارة من بيانه العجيب فيروّح عن قلبه ببعض العَبَرات، وأخيرا يقف عند إيماءات تشير إليه ودلاّلين يَدعون إليه، متأملا فيها مستغرقا في معانيها، موصولا بدقيق أسرارها بوجد عميق، متنسما نسمات الحب في كل لحظة وحين.

وإن من طبيعة القلوب أن يهيّجها الحزن، ومن شأن العيون أن تفيض بالدمع لدى مفارقة الأحبة أو وصالهم... غير أن منــزلة الدموع في عالم الغيوب تقدَّر بحسب عمق المشاعر، واتساع التصورات، وسموّ النوايا التي يحملها صاحب النحيب والأنين. فإن من يذرف الدمع ويئن بلواعج قلبه خشية وتخشّعا ومراقبة وتبصّرا؛ أو من يكظم أمواج العواطف المتلاطمة في قلبه، ويخفي غلَيان المشاعر المتأججة في ضميره، فيدفنها في غَور أعماقه.

ان التباكي الذي لا ينبعث من صميم القلب عذاب للعيون وإهانة للدموع وخديعة للناس كافة. ومن هنا فإن تصنّع البكاء لا يُفرح إلا إبليس، بل ويلوّث إكسيرا عجيبا صنعه الخالق ليطفئ نيران جهنم، ويُبطِلُ مفعولَه الخارق بما يحمل من آفة الرياء. إن الدموع التي تنم عن الاعتراض والإنكار وعدم الرضا في أوقات المصيبة والبلاء محرّمة ألبتة، وإن الارتعاد

بهواجس القلق والاضطراب مما يخفيه المستقبل، ما هو إلا لوثة نفسية وداء عُضال؛ كما أن التلهف والشكوى على ما ضاع في الماضي عبث في عبث وهدر للدموع.

لقد ذرفت عينا يعقوب عليه السلام دموعا ساخنة على ولديه العزيزين بدافع من حنين الوالد إلى فِلذتيْ كبده، وبدافع من عاطفةِ شفقةٍ ارتعش لها قلبه. ولعل النبي الكريم عليه السلام قد سكب غزير الدمع عليهما لما توسم فيهما من أمارات الأمل المشرق في المستقبل، ولِما عَرف لهما من مكانة سامية لدى الباري عز وجل. فإذا صح هذا التفسير -ونحن نؤمن بصحته- فلا حرج في هذا اللون من البكاء. أما الدموع الزائفة التي انحدرت من عيون إخوة يوسف عليه السلام عند والدهم الكريم، فما هي إلا كذبة فاضحة وخديعة مشينة واجههم بها سيدنا يوسف حينما كتب الله له لُقياهم قائلا: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فحمدوا له صنيعه قائلين: ﴿تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾.

إن قطرات الدمع التي تنهمر لوجه الله عز وجل، هي أصدق أنات القلب الذي يمور بالحب الإلهي مورا. وإنّ من تأججت أضلاعه بنيران الوجد تلألأت عيناه بالدموع، أما من أقفرت عيناه وتصحرت فلا أثر للحياة في جوانحه.

إن الحزن والبكاء من أبرز الخصال التي اتسم بها الأنبياء الكرام، فقد كان لآدم عليه السلام أنين متصل مدى الحياة، وها هي دموع نوح عليه السلام قد تحولت إلى طوفان غمر سطح الأرض. أما مفخرة بني الإنسان عليه أفضل الصلاة والسلام فقد نظم قصيدة لواعجه وأحزانه بالدموع، ولذلك فلعلنا لا نخطئ إذا سميناه "نبيّ الدموع والأحزان".

ألا تذكر يوم بكى بحرقة حتى الصباح تاليا الآيتين الكريمتين مرة بعد أخرى:

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المائدة:١١٨.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إبراهيم:٣٦. فلما أخبر جبريلُ عليه السلام ربَّ العزة عز وجل بسبب بكائه -وهو أعلم- زفّ إليه بشرى أثلجت صدره، وسكّنت خفقان قلبه وأنين وجدانه: "يا جبريل، اذهب إلى محمد وقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك". صحيح مسلم.

لقد كان دائم الفكرة متواصل الأحزان (الترمذي)، إذ كان في كثير من الأوقات يستغرق في تأملاته التي تنتهي إلى دموع حارّة تتحدر على خديه المباركين. صحيح أن وجهه الحزين كان يشرق فرحا حينما تصله بعض البشائر، إلا أنه كان في أغلب الأحيان يبكي ويئن أنين البلبل الجريح.

إن البلبل لا ينقطع عن النواح والأنين حتى وإن حطّ على الورد، فكأنه قد خلق لكي يصدح بنغمات الهم الدفين والحزن المتصل. أما الغربان فلا يحمل نعيقها أدنى معنى من ذلك الهم والحزن، وأما نعيب البوم فهو أبعد ما يكون عن مثل هذه المعاني النبيلة.

إن الحزن والبكاء حال الأصفياء دائما، وإن أنين الليل والنهار أقصر طريق إلى الله سبحانه. ومن عاب العاشق في بكائه فقد فضح نفسه وأبان عن رعونته. ومن لم يفهم حقيقة النفوس التي احترقت وجدا وتأججت شوقا، فسوف يصبح متقلبا بالحسرات ويمسي مكتويا بآلام البعد والهجران يوم يقوم الناس أمام رب العباد.

وإن القرآن الحكيم لَيلفت الأنظار باستمرار إلى أصحاب القلوب المضطرمة والعيون الملتهبة مُشيدا بذكرهم نماذجَ مثالية يجدر التأسي بها وتمثّل سلوكها. فهو ينوه بهؤلاء الربانيين أنقياء الروح أصفياء القلب يقِظي الفؤاد، ويثني على الدموع التي انحدرت من أعينهم، خوفا من جلال الله، وهيبة من جبروته، أو شعورا بثقل الذنوب وتعاظمها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ الإسراء:١٠٧-١٠٩.

فيعد الدموع التي تقاطرت حبا لله هدية صدقٍ قدّمت بين يدي نجواه سبحانه.

وكذلك حينما يثني على الأنبياء واحدا تلو الآخر بميزاتهم التي تميزوا بها، ومحامدهم التي تفردوا بها، ينبه إلى الجامع المشترك بينهم، أي البكاء والأنين، إذ يقول:

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(مريم:٥٨).

وتأكيدا لمكانة الدموع لدى الباري عز وجل نقرأ في الكتاب المبين آية :﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ المائدة:٨٣.

وذلك في معرض تبجيل المؤمنين قديما والموقنين حديثا ممن استيقظوا على النور من خلال الكتب المنــزلة والرسالات السابقة، ثم التقوا بالرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام، فسمعوا منه رسالة السماء غضة طرية، فتقلبوا في أحضان الإيمان من حال إلى حال.

وها هو القرآن مرة أخرى يشيد بأبطال الدموع، يهدّئ من روعهم، ويعزّي قلوبهم المنكسرة، ويخفف من وطأة أحزانهم بثناء سماوي، إذ لم يجدوا العدّة المطلوبة التي تساعدهم على الجهاد في سبيل الله بسبب ضيق ذات اليد فيقول:

﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ التوبة:٩٢.

وبينما يذكّر القرآن بأن البكاء من سمات الربانيين التي لا تفارقهم، يحذر هؤلاء الطائشين الذين يعدّون الحياة لعبا ولهوا فيقضون أعمارهم ضاحكين عابثين قائلا:

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ التوبة:٨٢.

وبالتالي فإنه ينوه بمكانة الدموع من باب آخر. أجل، إن القرآن يستميل أنظارنا إلى الحقيقة نفسها بأساليب شتى وبعشرات من الآيات، ويرشدنا إلى أن نقف موقفا يليق بمكانتنا الكونية.

هذه تنبيهات القرآن الملحة في هذا الشأن، وإليك نفحات من الحياة السنيّة للنفس الزكية والروح الطاهرة مبلّغ وحي السماء عليه الصلاة والسلام الذي سارت حياته مستقيمة على هذا النهج القويم.

فقد كان يقول لأصحابه الأوفياء من حين إلى آخر "طوبى لمن مَلَكَ نفسَه، ووسِعه بيتُه، وبكى على خطيئته" (الطبراني)، فيدلهّم على معراج ذي ثلاثة مدارج يستدرجهم من خلالها إلى الآفاق السامية التي يعيش فيها، ثم يلفت أنظارهم إلى ما يقع في عوالم الغيب من شؤون جسيمة تهز القلب هزا فيقول: "واللهِ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا" البخاري.

كما كان يوقظهم دوما إلى أهمية البكاء والأنين، وينبههم -وينبهنا معهم- إلى أن قطرات الدمع النقية التي فاضت خشية من الله تشكل حجابا إزاء عذاب النار ما لم تتلوث بزيف الرياء وكذبه، "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"

الترمذي. وتأكيدا للمعنى نفسه وتنويها بقيمة الدمع لدى الحق تعالى كان يستخدم أساليب مختلفة في حديثه إذ يقول: "لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللّبنُ في الضَّرْع" الترمذي.

فما بالك إذا انسكبت هذه الدموع، وتعالت تلك الآهات في خلوات محجوبة عن العباد مكشوفة على رب العباد.. الحقيقة أنني لا أعرف ميزانا يستطيع أن يزن قدرها.

أجل، كان نبيّ الحزن صلى الله عليه وسلم يصدح بهذه المعاني وينبه إليها حيثما نزل وأينما حلّ، مع العلم بأنه لم يتخلف عما أشاد به من مُثل عليا قطّ، ولم يبطئ السير نحو الآفاق البعيدة التي أشار إليها أبدا، بل كان متجاوزا لها بمسافات شاسعة، فعندما كان يقوم أمام الباري عز وجل للصلاة يُسمَع في صدره أزيز كأزيز المِرْجَل من البكاء (أبو داود).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم "اِقرأ عليَّ"، قلت يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزِل؟ قال "نعم". فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً﴾، قال "حسبُكَ الآن"، فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرِفان - البخاري.

أجل، كانت الدموع تسيل من عينيه سيلا، فهل كان أصحابه الأنقياء الأطهار يشهدون دموعه وهم واجمون؟ كلا، بل كانوا يجهشون معه بالبكاء، فيتحول المشهد إلى بكّائين يتغنون بأناشيد البكاء ويترنمون بأنات الدموع.

وذات مرة ما إن تلا عليهم قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ﴾ النجم:٦٠-٦١. حتى علت أصواتهم بالبكاء وارتجّت السماء بالأنين، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم طفق يبكي معهم بدموع حرّى، فما كان ذلك إلا أن أثار شجونهم ولمس شغاف قلوبهم فطفقوا يذرفون دموعا أكثر من ذي قبل (البيهقي).

فقد كان بكاء الليل وأنين النهار دأبهم؛ إذ كانوا يشعرون بحلاوة الإيمان ولذة العرفان فيبكون، وتثور نيران الحب والشوق لديهم فينتحبون، ويراقبون عملهم فيحذرون من أن يكون قد خالطه شيء من الذنب فيستعبرون، وتلوح لهم مشاهد الآخرة فيرتعشون خوفا ويئنون، وتغطي الغيوم

آفاقهم فتحجبهم عن الرؤية فيضطربون، ويعاودون الكرّة فيبكون.. تلك حالهم ما بين بكاء وأنين يُزْجَى بأخلص عبارات التضرع والابتهال إلى عرش الرحمن.

إن أسرع الأدعية وصولا إلى الله ما صدر منها مصحوبا بدمع العين وأنين القلب، إذ ما من شيء يمكن أن يترجم حرقة الفؤاد ولوعة الضمير بأقصى سرعة وأسمى نقاء مثل العَبَرات والدموع. وما رَفعت دموعُ القلب رايتها في ساحة من الساحات إلا تبددت جيوش الإثم أمامها مقهورة مخذولة. وإن النفوس المرهفة حينما تحس بهذا النوع من نسمات القبول تلامس أوتارها، تهدأ ثورة نيرانها، وتنتشي بلحظات من البرد والسكينة والسلام.

إن الأوّاهين الذين عاشوا في بكاء وأنين متصل هم بلابل الحب الصادق عند أهل السماء. فإذا انطلقت أصواتهم بالتغريد أنصت سكان الملإ الأعلى، وراحوا يصغون إلى ترانيمهم بسكون عميق. فإذا بلغ البكاء هذا المبلغ من الوفاء والنقاء، وكان ترجمة صادقة لما يمور ويهدر من شلالات في القلب، فعلى المرء أن يوجهه ناحية "الأبد"، ويقدمه إلى "سلطان الأبد" في منتهى السرّية والكتمان، وأن يحذر من تلويثه بشائبة الرياء، وإلا تحول ذلك الشلال المطفئ للنيران إلى سم زُعاف.

إننا نعيش في عالم فَقَد النورَ الذي يهتدي به، فادلهمّت الأرض وأظلمت السماء، وخيمت الفوضى على كل مكان... هلمّ بنا إذاً، نَذُبْ ذوَبانَ الشمعة الملتهبة ونحنِ رؤوسنا انحناءها وهي تشتعل وتذوب، ونتأمل مئات الذنوب وآلاف المعاصي التي اقترفتها أيدينا، ثم نطلق أناتنا كالبلابل المفجوعة حتى ينتفض أهل السماء يلحَظون، فيهبّوا مسرعين يحملون مشاعل النور في أيديهم لكي يشهدوا مهرجان البكاء العظيم. إنني أرى أن هذه الفترة التي شبّت فيها ألسنة النار في الهشيم، لَهِي أنسب الأوقات لكي نُفتّق سحائب عيوننا بشلالات من الدموع.

وإذا كان دمع العين إكسيرا عجيبا يبطل سحر كل مؤامرة شيطانية -وهو كذلك- فما علينا إلا أن نتخلى عن مشاهد الابتهاج الفجة حيثما حللنا وارتحلنا، ونلجأ إلى الاسترواح بغيوث البكاء، ونسعى إلى إخماد نيران الأنين بإكسير الدموع.

إن دمع العين لدى أصفياء الحق سبحانه مَثَله كمَثَل أنفاس المسيح عليه السلام فيها سرّ بعث الروح في الأجساد الميتة، وكمثل ماء الحياة تنتعش به الأراضي القاحلة، وتنتفض بالحيوية،

وتتدفق بالخضرة والنماء. وإن السعداء الذين أووا إلى خلوات الليل المحجوبة عن العباد المكشوفة على رب العباد، فزادوها عمقا ببكائهم، وشفافية ورقة بنحيبهم، وأسمعوا مكامن أرواحهم ترانيم من الأنين ونغمات من الحنين، سوف يُمنَحون سر البعث حتما، إنِ اليومَ أو غدا، ويبثون الروح والحياة أينما نزلوا وحيثما ساروا.

منذ سنين وسجاداتُ الصلاة ظمأى إلى الارتواء بأنداء الدموع.. ومنذ عقود وآذاننا متشوّفة إلى أنين القلوب.. اكفهرّت سماؤنا وتصحرت أوديتنا.. بتنا لا نشعر بلهيب النيران التي تضطرم في أحشاء أهل المكابدة فينا.. فكأن وجوهنا قطع من الجليد، وأنظارنا خِلْوٌ من أي معنى نبيل.. لا أثر للهمّ المضني والمعاناة المبرّحة في الأفئدة.. ونظراتنا لا تعبر عن الصدق الذي يبعث الإيمان في القلوب. وإنه لمن المحال بمكان أن ننطلق نحو المستقبل، وأن يكون لنا وزن في لاحق الأيام بهذا العبء من الغفلة.

ومنذ أن أحجمت عيوننا عن الدموع، جفّت ينابيع السماء من خيراتها، وأمسكت أنوار التجليات وغيوثُ الإلهام عن الهطول.. فلا ورد ينبت ولا زهر.. وباتت الأنوار تنحدر من السماء متعثرة، والنسيم يهب بين الحين والآخر منهَكا.. سكان السماء لَهْفى إلى أنّات أهل الأرض ونحيبهم.. والرحمة التي تريد أن تتحول إلى سحائبِ بُشْرَى، تستغيث الأجفانَ دموعَها.

ومن يدري، فلعل الأرواح الطاهرة التي ترفرف في السماء، تترقب تدفق الدموع من عيوننا لكي تناجي الغيوم وتستحثها على الهطول. ومن يدري، فلعل عيوننا تفيض بحارا من الدموع إزاء ما ألمّ بنا من نوازل ومهمّات، فتمتلئ للتوّ آفاق الملكوت بسحائب محمّلة بالرحمة الواسعة، وتنتبه السحائب إلى أخطائنا ومعاصينا تجرفها أمواج الدمع المتدفقة من أجفاننا، فإذا بها تهلل فرحا، وتتألق ابتهاجا، وتغني أناشيد الربيع، ثم تنهمر علينا بالرحمة والبركات.

ومن يدري، فلعل سكان السماء، شأنهم في ذلك كشأننا حينما نأخذ ماء الورد فنضمّخ به وجوهنا وعيوننا في ذكرى الميلاد النبوي السعيد.. من يدري؟ فلعلهم يستبقون قطرات الدمع التي تستروِح بها النفوسُ الملتهبة بالهجران، يمسحون بها وجوههم، ويكحلون بها عيونهم، ويضمونها إلى صدروهم على أنها أعز هدية قدمت إليهم. إن أخطاءنا وذنوبنا قد طاولت الجبال في تعاظمها.. وإنّ حالة الأسف ودموع الندم التي تبدو علينا أحيانا، يغلب عليها غُلْواء

الرياء والسمعة.. فلا أثر للمعاناة المؤرّقة في نفوسنا.. وأغلب بكاءاتنا ذات طابع دنيوي ومشوبة بالعصيان. ومن ثم فنحن لا نحتاج اليوم إلى شيء قدر احتياجنا إلى دموع من الندم تُذرَف لِتنقّينا من الأدران التي علقت بنفوسنا منذ قرون. فعسى أن نطرق باب التوبة بها، ونعود لنبني سنواتنا البائدة من جديد.

إن آدم عليه السلام لما ضخّم "عثرته" في عينيه وكبّرها حتى بلغت ضخامة قمة "إفيرست"، لم يلجأ إلا إلى الدموع لكي يذيبها ويدمّرها عن بكرة أبيها. لقد كان مثل شجرة "العود" تحترق رويدا رويدا لتغمر المكان رائحة شذية، إذ لم يلبث أن اضطرمت النيران في أحشائه، فراح ينتحب بدموع حرّى، ويتلوّى بأنّات الندامة حتى ارتقى إلى سماء القبول، وصار محط أنظار الملائكة والملإ الأعلى. وعندما انقشعت الغمة وانتهت "المكابدة"، أصبح كل يوم جديد يشرق عليه بأبهى بشائر العفو وأزهى تهاني الغفران.

بعد أن اجترحت أيدينا ما اجترحت من الآثام، وبعد أن عانينا ما عانينا من الجفوة والحرمان، أرى أنه لا يبدو لنا سوى مخرج واحد؛ وهو أن نترصد شواطئ الخلوات المتفتحة على التجليات، ونسبل ستائر الليالي السوداء على رؤوسنا، ثم نخرّ على جباهنا ساجدين منتحبين، لا يرانا أحد ولا يسمعنا سوى السميع البصير.

تعالوا بنا نبكِ ونتلهف على نقضنا لعهدنا، وانهدام وفائنا، وعجزنا المتصل عن إخلاص أعمالنا، وشرودنا ذات اليمين وذات الشمال أثناء سلوكنا، والتواء خطنا، وانحراف استقامتنا، وعدم توفيتنا حقَّ المقام الذي بوَّأنا الباري عز وجل، وحقَّ المكانة التي تَوّجَنا بها، وعدم وقوفنا موقفا مشرِّفا قويا يوازي المنن والأيادي التي كُرِّمنا بها... أجل، دعونا نبكِ أيضا على كل من أساء التصرف مثلنا.. بكاء لم يشهد بمثله الأولون والآخرون، حتى يعجب أهل السماء الذين كان البكاء ديدنهم، فيسكبوا دموعهم إغاثة لدموعنا، ويرفعوا أنينهم استجابة لأنيننا منذ اليوم.

أجل، نحن لم نَقدُر المكانة السامية التي كُرّمنا بها حقّ قدرها، ولم نصمد في مواقعنا بعزم صادق ووعي نافذ وإخلاص عميق. لقد انحلّت الأيدي المتماسكة، وهجر الحبيب ديارنا، وعصفت رياح الخريف برياض الورود فأبادتها، واكتوت أحشاء البلابل بلهيب الفاجعة،

وأخذت تشدو بآهات محرقة، وتبكي بأنات ملتاعة... أجل، غاضت الينابيع، وجفت الجداول، وباتت الأشواك تنذر بالهول في كل مكان، ونعيب البوم يمزق أرجاء الأرض والسماء.

آنَ الأوان لكي نتحدث بلسان قلوبنا، وننثر قطرات من إكسير الدمع على وحشتنا وغربتنا، فننهي عهد التصحر المميت.

إذن، تعالوا نَهجُرْ أيام البؤس التي قضيناها ضاحكين عابثين، تعالوا نعزف على أوتار الدموع مترنمين بنغمات البكاء والأنين. هلُمّوا نودّع حياة اللهو والهوى، ونتدثر بدثار الهمّ والمعاناة حتى نكتشف أبعادا أخرى من الحياة ونستشعر بها في أعماقنا. تعالوا نصغِ إلى ألوان من الهموم، ونستهدِ السبل التي تقرّبنا إلى عظماء المكابدة ممن يقاسمون الأوّاهين آلامهم ويشاطرونهم أحزانهم.

لقد اندثرت أيام عمرنا الخصيبة في ضياع مخيف، وولّى ربيع الحياة دونما رجعة. وباتت طلائع الليل البهيم تلوح في الأفق الغربي تنذر بانتهاء نهار العمر الوضيء. فلم يبق لنا - والحال هذا- إلا أن نوقد مصباحا ساطعا لا يخمد نوره استعدادا لذلك الليل الطويل. فلا أقلّ من أن ننتفض -منذ الساعة- فنؤوب إلى رشدنا، ونلملم شعثنا، ونعود إلى جوهرنا، فنرطّب حرقة أكبادنا بقطرات من دموعنا.. إذ لم يقطر على وجه الأرض شيء أعزّ وأكرم من الدمع عند الخالق عز وجل، وإنّ تلك القطرات التي تناثرت على وجه التراب ستحوّل أرجاء البسيطة كلها إلى جنّات زاهرة في عهدٍ ليس ببعيد.

ناشدتكم الله أن نهبّ معا لنكون سقّائي دموعٍ في هذه الصحراء المترامية الأطراف، المتآكلة من الجفاف، فنقيم موائد زاهية حديثة العهد بالسماء، تقدم للرائح والغادي فواكه غضّة طريّة نضيرة، كلماتها شبوب شوق ولهيب أشجان، ونغماتها أنين قلب ونحيب وجدان .

إن القارىء لكلماتك سيدي ليسبح عبر الأماكن المتعددة و المختلفة، إنه ليسبح عبر الأزمنة ، رغما عنه يسبح ليلقى الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم مرة ، و الأصفياء من صحابته مرة ، و الأولياء من أتباعه مرة... ليرجع لذاته مرات، ليرى من خلال كلماتك حقيقة ذاته ، في ماضيها و حاضرها.

ونحن نشارك الكاتب الكريم عواطفه ، فما أجمل هذه العبارات وما أرقها. حفظ الله صاحب هذا المقال ... لقد أثار هذا المقال في قلوبي أشجانا دفينة، فما قرأت في حياتي عن دمع العين كلام له مثل هذا التأثير على قلبي ، ما أحوجنا اليوم إلى البكاء.

وأنا بدورى أناشدك عزيزى القارىء أن تقرأ كتب الأستاذ.... صدقنى فلن تندم بل ستمتلىء روحك رقة وسكينة وستذرف الدمع المدرار دون أن تشعر.... فقط جرب.

الحزن فى حياة الأستاذ كولن

الحياة مكونة من سعادة وحزن لاثالث لهما .

فالسعاده والحزن يعتبران ملح الحياة وبدونهما لا طعم ولا لون للحياة .

لذلك لا يمكن ان نتذوق طعم الأكل بدون ملح وأيضاً لا نعرف معنى السعاده ولا نسعد بحياتنا إلا اذا عرفنا معنى الحزن فالحزن رفيق مالنا بد منه.

والحزن حالة لابد من أن يمر بها كل فرد فى حياته.

فبعض الحزن يصهرك، يذيبك كالشموع ،يسكبك كالماء، يشتتك كالأمواج.

وبعض الحزن ينهيك، يجففك كالأشجار، يسقطك كالأوراق ،يذبلك كالورد.

وبعض الحزن يحرقك، يشعلك كالأخشاب، يتركك كالجمر،يخلفك كالرماد.

وبعض الحزن يعميك، يطفئ مصابيحك، يسرق نورك، يعتمك كالليل.

وبعض الحزن يحنيك كالأغصان ،يهشمك كالزجاج ،يهدك كالجدار.

وبعض الحزن يشتتك، يدمر عقلك، يضيع عناوينك، يطمس ذاكرتك.

وبعض الحزن يخدعك ،يزيف لك حقائق، يمنحك السراب، ويعلمك الوهم بلا حدود.

وبعض الحزن يغيرك، ينسفك، يقلب موازينك ،يعيد حساباتك مع نفسك.

وبعض الحزن يسجنك ،يبعدك عن العالم ،يخفيك عن الحياة، يبقيكـــ وحيدًا.

وبعض الحزن يقتلك، يجمد إحساسك، يوقف عجلة الزمان ،يفقدك شهية الحياة.

وبعض الحزن يصادقك ،يتودد إليك، يلتصق بك، لا يفارقك للأبد.

وعلى الجانب الآخر فهناك...

بعض الحزن ينفعك، يضيء لك العتمة، ينقذك من أوهامك، يريك حقيقة الأشياء.

وبعض الحزن يغسلك ،يطهرك من أوهامك ،يطليك بالواقع، يعيد بناءك.

وبعض الحزن يلدك ،يخرجك من الحياة، يمنحك فرصة أخرى وطريقًا جديدًا.

وبعض الحزن يعتقك من قيودك، يمنحك حريتك، ينهي استعمارهم لك.

وبعض الحزن يرممك، يقيمك ،يملأ صدوعك، يعيد رسم خرائطك.

وبعض الحزن مرآتك يواجهك في نفسك، يكشف لك عيوبك، يضع حقيقتك أمامك.

وبعض الحزن بلا طعم ولا نكهة ولا رائحة... مجرد إحساس متعب يمر بك

يأخذ منك ما يأخذ ويترك لديك من الكآبة ما يترك.

ولكـــــــــــــــــــــــن أحبتـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــي...

الحزن ضروري في هذه الحياة.

فقد قالوا ان لم يوجد الحزن ما كنا عرفنا معنى الفرح ،

وان لم تكن قد عشت لوعة الفراق ماكنت ذقت حلاوة اللقاء.

هذا مدخل عام لمفهومى ولفكرى المتواضع عن الحزن .... لكن تعال معى عزيزى القارىء لنقرأ ماكتبه الأستاذ عن الحزن ولنستمتع معا بهذه المعانى الراقية عن معنى الحزن والتى لم ولن تجدها فى أى كتاب.

خلو البال من الهم :

كان فخر الإنسانية (ص) قبل البعثة المباركة وبعدها مفعما بالهم متلفعا بالغم إزاء ما يرى من شقاء مادي وضياع روحي يسود البشرية كلها. فالروايات تقول إنه كان قبل النبوة يعتزل الناس أحيانا ويخلو إلى نفسه متأملا في مشاكل الإنسانية المأزومة. أما عن مبلغ همه بعد أن تحمل مهمة الرسالة فينبه إليه القرآن العظيم قائلا "لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا"، أليست الآية ذات مغزى عميق يهز القلب هزا ويؤثر في صميم الوجدان. إن أخطر همنا اليوم خلونا من الهم. الهم الذي يسلبنا النوم ويقض مضجعنا ويتركنا مؤرقين عدة أيام في الأسبوع ونحن نسعي جاهدين نغرس حقائق الإيمان والقرآن في القلوب ونتطلع إلى أن يستجيب لها ضمير المجتمع الإنساني. وإذ لم نأرَق بمثل هذا الهم اليوم، فسوف تنهمر علينا مهمات تحرمنا النوم غدا. والحق أقول؛ يكاد المرء يتفطر أسفا حينما لا يرى من يتفطر هما.

من كتاب "فصول" الجزء الأول.

ويقول الأستاذ في حرقة قلب عن القرآن: "يَتيم هو... أفْديه بروحي... نعم يتيم هو... هناك

جموع غفيرة لا تعرف لسانه، ويتألّمون بجهلهم بلسانه... هذا القرآن يبكي بمرارة، إنّه يتيم منذ ثلاثة عصور... لقد مات والده... ماتت جماعة الإسلام... لقد كان بطَلي ومقدامي... دفَنوه في الربوة المقابلة... يتيم هو القرآن.." وعظ "الحزن المقدَّس"، مسجد "الحِصار" بمحافظة إزْمِير / تركيا، تاريخ: ٢٤ يونيو ١٩٩٠. فهذا الكلام النابع من حرقة قلب صاحبه ينمُّ عن عشق عظيم للقرآن ولغته.

الحزن ملح الحياة

عنوان عجيب ...هذا اسم مقال رائع للأستاذ ضمن كتابه" التلال الزمردية"الجزء الأول ، لنقرأ سويا ماخطه يراع أستاذنا:

الحزن، مشتق من الحَزَنْ باللغة العربية، ويعني: الغم، الكدر، الغصة. ويستعمل الصوفيون هذه الكلمة ضد الفرح والابتهاج والسرور، ويصح أن نقول إنه همّ ذو بُعدٍ مشوب بالشعور بالمسئولية، والتفكر في أمور الدعوة، وأسىً في السعي لبلوغ الغاية.

نعم، إن من كان كامل الإيمان -حسب درجته- إنما يتحرك ويسكن بالحزن، لحين تطلق الروح المحمدية الندية أجنحتها في أرجاء المعمورة، وتهدأ آهات المسلمين وزفراتهم، ويصبح القرآن الكريم حياةً للحياة كلها. وفي حدود الإنسان؛ لحين مروره من حفرة القبر بأمان، واجتيازه عقبات البرزخ واحدة تلو الأخرى بسلام، من دون عائق في الحساب والميزان، حتى يتمكن من التحليق إلى الروح والريحان وميدان طيران الأرواح ...فينسج بالحزن حياته على خيوط الزمان، بل يحشره حتى بين دقائق نشوته وحبوره .

والخلاصة: أنه يجعل الحزن ملح حياته، فيشعر به في ثواني حياته بل في ثوالثها وعاشراتها، ويستمر بهذا الانكسار المقدس إلى أن يبلغ الحقيقة المبشّرة في قولـــه تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَــزَنَ إِنَّ رَبَّنَــا لَغَفُورٌ شَــكُورٌ) فاطر:٣٤.

الحزن ينبع من إدراك الإنسان لإنسانيته، وكلما كان في مستوى هذا الشعور يترشح الحزن في بصره وفي بصيرته. وفي الحقيقة إن فاعلية مثل هذا الحزن ضرورية جداً من حيث دوام

توجّه الفرد إلى الله سبحانه، والاحتماء بحمايته كلما استشعر بما يثير لديه الحزن، والالتجاء إليه كلما عجز عن شيء لا يقدر عليه، فيستغيث: النجاة... النجاة .

ومن جهة أخرى، فإن المؤمن الذي عمره قصير، وقدرته قليلة، ومطالبه باهظة، ومضطر أن يجعل الواحد ألفاً.. إذا غدا الحزن بُعداً ورفيقاً للأمراض التي تتعرض له، وللعوائق والضائقات التي تعرقل سيره، وللمصائب والنوائب التي تصيبه... تتحول هذه كلها إلى إكسير عجيب يُذهب الذنوب ويمحو الخطايا. حتى يستطيع الإنسان أن يجعل بهذه الوسيلة الشيء المؤقت أبدياً، والقطرة بحراً، والذرة شمساً.

نعم، يصحّ أن نقول إن عمراً يمضي هكذا في ألوان من الحزن هو عمر نبوي مبارك.

وكم هو ذو مغزى عميق- من هذه الزاوية- إطلاق اسم "نبي الحزن" على فخر الإنسانية صلى الله عليه وسلم- أرواحنا فداه- الذي كان متواصل الحزن دائم الفكر، قضى حياته كلها بدقائقها و ثوانيها بتلونات الحزن. انظر: المعجم الكبير للطبراني ١٥٦/٢٢، شعب الإيمان للبيهقي ١٥٥/٢التعلم كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم دائم الحزن.

الحزن حِمىً، يحُول دون تشتت جهاز قلب الإنسان وعالم مشاعره في وديان الغفلة، وسورٌ يحفظ الارتباط الوثيق بالحق تعالى، وبهذا يكون الحزن طريقاً لا مناص منه إلى التركيز، بحيث إن السالك الحزين، بفضل التوجّه الاضطراري هذا، يمكنه أن ينال من المراتب في الحياة القلبية والروحية وفي أقصر وقت، ما يعجز عنه الآخرون في "خلوة الأربعين" مهما تكررت .

إن الله سبحانه لا ينظر إلى الصوَر ولا إلى الأجسام وإنما ينظر إلى القلوب، ومن القلوب ينظر إلى القلوب الحزينة المكدرة المنكسرة، فيشرّفها بمعيته، كما يذكّرنا به الحديث القدسي: (أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُم). كتاب الزهد للبيهقي ١٦٢/٢؛ كتاب الزهد لابن أبي عاصم ٧٥/١- كشف الخفاء للعجلوني ٢٣٤/١.

قال سفيان بن عينية: (لو أن محزوناً بكى في أمةٍ، لَرحم الله تلك الأمة ببكائه) .الرسالة للقشيري ٢٣١

لأن الحزن يترعرع وينبت في جوانب الإخلاص والجدية من القلب، فلا طور بين الأطوار كالحزن، يقرّب الإنسان إلى الله ويكفّه عن باب الفخر والرياء والسمعة .

إن لكل شيء زكاته، وزكاة الشيء تطهّره وتصفّيه مما يكدره. فالحزن زكاة الدماغ والوجدان، وله بالغ التأثير في صفائهما وفي بقائهما زكيين طاهرين .

وقد جاء في التوراة: (إذا أحب الله عبداً جعل في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبداً جعل في قلبه مزماراً). الرسالة للقشيري ٢٣٠.

وقال بشر بن الحارث الحافي: (الحزن مَلِك، فإذا ما سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد). الرسالة للقشيري ٢٣٠.

وكما إن لم يكن في بلد سلطان أو حاكم خرب، ودبّت فيه الفوضى، كذلك إن لم يكن في القلب حزنٌ وهمٌّ خرب وتبعثر. أليس حال مَن هو أتم القلوب عمراناً كان حزناً دائماً وتفكراً مستمراً ؟ .

لقد اجتاز سيدنا يعقوب عليه السلام الجبال والقفار التي بينه وبين يوسف عليه السلام بأجنحة الحزن، حتى بلغ أجواء تأويل الرؤيا العذبة. وبهذا عُدّ أنينُ فؤاد مليء بالحزن والأسى عِدلاً لأوراد العبّاد وأذكارهم، وتقوى الزهاد وورعهم .....الله الله على هذه الدرر الثمينة.

فلئن كانت الهموم والأحزان النابعة من تقلبات دنيوية -فيما خلا من المعاصي والآثام- كفّارة للذنوب، كما بشّر به الصادق المصدوق عليه السلام. انظر: البخاري، المرضى ١؛ مسلم، البر ٥٢، المسند للامام أحمد١٥٧/٦. فكيف إن كانت ذات بُعد أخروي وفي سبيل الله؟

هناك حزن ناشئ عن ملاحظة نقائص الإنسان في عباداته وطاعاته وخشية تقصيره في عبوديته لله، وهذا هو حزن العوام.. وحزن آخر نابع من ميل القلب ومحبته لما سواه تعالى وتعثر المشاعر في التوجه إليه، وهذا حزن الخواص... وهناك حزن آخر هو أن إحدى قدمي

المحزون في عالم الناسوت والأخرى في عالم اللاهوت، فيسعى بقلب يقدّر كلاًّ من العالَمَين حق القدر فيوفي حقّ الموازنة بينهما معاً مراعياً التمكين .وحتى في سعيه هذا تنتابه الخشية هل أنه أفسد الموازنة أم لا؟ فيئن أنيناً حزيناً ويطلق الحسرات.. وهذا هو حزن الأصفياء .

إن أول نبي، وهو أبو البشر، وأبو النبوة، كان أباً للحزن أيضاً .فما أن انتبه للحياة حتى فتح عينيه للحزن، حزن الضعف في عزمه مع ما في ميزان النبوة من تمكين، حزن الجنة المفقودة، حزن الوصال الذي ضاع، حزن الفراق الذي تعرّض له .فلقد أنّ طوال حياته أنيناً موجعاً على هذه الأحزان .

سيدنا نوح عليه السلام، وجد نفسه في معصرة الحزن بمجرد تقلّده مهمة النبوة. وإن موجات الحزن التي كانت تموج وتعلو في صدره تعدل موجات المحيطات العالية... وإذا في يوم من الأيام فجّر منبع حزنه الأرضَ والمحيطات إلى ذرى الجبال، وخيّمت على الأرض ظلمات الحزن. وإذا به يصبح نبي الطوفان .

وسيدنا إبراهيم عليه السلام كأنه قد صُمم للحزن، حزن المجادلة العنيفة مع النماردة، حزن التجول في أروقة النار، حزن ترك الأهل والأولاد في واد غير ذي زرع، حزن الأمر بذبح الولد.. وأمثالها من سلسلة الأحزان ذات الأبعاد الملكوتية المخالفة لقياس العقل .

سيدنا موسى، سيدنا داود، سيدنا سليمان، سيدنا زكريا، سيدنا يحيى، سيدنا المسيح عليهم السلام تعرفوا على الحياة سلسلة أحزان وحسرات، وعاشوها هكذا ...ولا سيما سيد الأنبياء والمرسلين نبي الحزن صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه ....

(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) .

وصلّ وسلّم على سيدنا محمد الرؤوف الرحيم وعلى آله وصحبه أجمعين .

خاتمة

من رحمة الله تعالى بالأمة الإسلامية وبالعالم الإنساني أن يظهر بين الحين والحين رجال أمثال "بديع الزمان النورسي" و"حسن البنا" و"فتح الله كولن"، يجددون تراث مفخرة الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم، ويحشدون الجموع حوله، ويحلون المشكلات به، وينفون عنه الأوهام والبدع، ويعيدون إليه بريقه الأخاذ يوم كان وحيًا يتلى وسنة تتبع.

ولقد شاءت إرادة الله تعالى أن يمثل "حسن البنا" و"فتح الله كولن" نجمين مضيئين في فلك واحد، هو فلك "الخدمة الإيمانية" يشع كل منهما ما حباه الله به من نعم وتجليات نورانية؛ فكلا الرجلين تجلت عبقريتهما المتعددة المجالات والمتنوعة الآفاق في أمرين أساسيين :

الأمر الأول: شغف كل منهما بفكرته ودعوته واقتناعه بها وتفانيه وتضحيته من أجلها وانقطاعه إليها بجميع قدراته وطاقاته وإمكاناته، وذلك هو الركن الركين والأساس الرئيس لداعية الأمة الذي يجري الله على يديه الخير والهدى، ويفتح به قلوب العباد لينشر كلمة الله في البلاد، ويبلغ رسالة الرشاد قبل يوم التناد.

الأمر الثاني: التأثير العميق لكل منهما في نفوس أصحابه وتلامذته ومحبيه، والنجاح الرائع في التربية والبناء والتكوين والإنتاج العملي الواقعي؛ فقد أنشأ كل منهما جيلاً وربى شعبًا؛ "فحسن البنا" صاحب مدرسة علمية فكرية خلقية، و"فتح الله كولن" صاحب جامعة علمية فكرية قيمية، وكلاهما أثَّرا في ميول من اتصل بهما من المتعلمين والعاملين، وفي أذواقهم ومناهج تفكيرهم وفي أساليب بيانهم ولغتهم وخطاباتهم، تأثيرًا واضحًا جليًّا لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ورغم تباعد الزمان وتباين المكان، فإن الباحث يدرك بسهولة المصادر المشتركة التي أسهمت في تكوين هاتين الشخصيتين العملاقتين في تاريخنا الإسلامي المعاصر.

فرحم الله الشهيد "حسن البنا" وجزاه الله خيرًا عما قدم لدينه وأمته، وبارك الله في الأستاذ "فتح الله كولن" وأجزل له عظيم الثواب جراء ما قدمه من فكر وحركة واقعية متنامية، سرت سريان الحياة في جنبات الغثاء الأحوى فترعرع وأخرج ثمرًا يعجب كل محبي الخير للإنسانية. انظر موقع مجلة حراء.

في عام ٢٠٠٨م أجرت مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية الشهيرة في الأوساط الأكاديمية، بالتعاون مع مجلة "بروسبيكت" البريطانية المشهورة، استطلاعاً على مستوى العالم حول أهم مائة عالم في الأرض، وكانت المفاجأة أن يحتل كولن المركز الأول! وهذا ليس من فراغ كما رأينا من سيرته المشرفة الحافلة بالتضحية والاخلاص.
فالأستاذ فتح الله كولن أحد أشهر علماء الإسلام المصلحين ودعاته المعاصرين على مستوى العالم... وقد أنشأت له عدة جامعات في الولايات المتحدة ,وإندونيسيا، وأستراليا، أقساماً خاصة باسمه (كرسي أكاديمي) ومراكز علمية متخصصة ، وانعقدت مؤتمرات وندوات دولية عديدة في جامعات عالمية لدراسة أطروحاته ونظرياته الدعوية والفلسفية والإصلاحية والتربوية.

الشيخ محمد فتْح الله كُولَن (بفتْح اللام، ومعناها بالتركية: الباسم الضحاك) مفكر مجدّد، ومصلح اجتماعي مجتهد، وداعية حوار مع الثقافات والأديان، ومثقف عالم واسع الأفق رحب الرؤية ثاقب النظر راجح العقل شديد الوعي بما يحفل به الواقع من تحدّيات وصعوبات ومعوقات يتطلب تجاوزُها قدرًا كبيرًا من الحكمة البالغة ومن الأناة والحلم، ومن الترفّع عن صغائر الأمور والتركيز على عظائمها التي تنفع الناس وتمكث في الأرض. فقد ظل طيلة ثلاثة عقود وهو في حركة لا تعرف الراحة ومازال أمد الله لنا فى عمره.
لقد أصبح كولن منذ السبعينيات مشعلاً في عموم تركيا، لكنه يشرق ولا يحرق، ينير، ولا يُقير، يضيء ولا يسيء، يوحّد ولا يبدد، يجمع ولا يقطع.

لم يعد كولن مفكراً فرداً كحال معظم المفكرين، ولم يعد داعية محاطاً بعدد من المعجبين والمنفعلين ، بل صار تياراً عظيماً داخل تركيا وخارجها، عُرف بأنه تيار «الخدمة» صار هذا التيار الخارج من تحت عباءة كولن، ملء السمع والبصر.

وصفه الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ فقال: طاقة ذكائه لا تنفد... له في كل يوم جديد ذكاءٌ جديد... ونظر في الأمور جديد... إلى الأمام ينطلق دوماً... وإلى الخلف لاينظر... إنه ليس برقم في حسابات المجتمع يمكن شطبه إذا أراد مَن يريد... إنه طاقة روحية ذات امتدادات في أرواح الناس وعقولهم... قد تختفي كلماته... وقد تُمحى كتاباته لكنه يبقى موجوداً في العقول

والأرواح لا أحد يستطيع أن يورده موارد العدم... إن نشاطه الروحي يُشعر المجتمع بأنه لا زال حياً... إنه الروح الذي يبعث الحياة في صرعى الدنيوية المقيتة، الفكر والحياة هما مثار اهتمام ذهنه وقلمه... الفكر وحده منفصلاً عن دورة الحياة لا يجدي كما يرى... ولا الحياة مجدية إذا كانت منفصلة عن دورة الفكر... بل لا بُدّ منهما معاً... نحياهما معاً... ونتعايش وإياهما معاً...

ان من يقرأ عن الأستاذ ومنهجه الدعوى وطريقة تفكيره يترسخ لديه أن الأستاذ يريد أن يغير العالم وسرعان مايتبادر الى ذهنه أن هذا الانسان يحلم....أقول له: وما العيب أن نكون حالمين.. فـــ"الحلم" كان ولا زال مفتاح كل الحقائق والوقائع الملموسة.. وكل ما نشاهده اليوم من مكتشفات ومخترعات كانت بالأمس القريب أحلامًا وخيالات، فإذا بها اليوم حقائق قائمة بين طهرانينا.. فالإنسان الذي لا يحلم، لا يستطيع أن يفكّر؛ فالحلم أو الخيال هو أولى درجات الحقيقة والإنجاز.

اقرأ معى هذه الفقرة من كتاب الضاربون في الأرض للأستاذ أديب ابراهيم الدباغ تحت عنوان : فكر الأستاذ فتح الله كولن بين الحقيقة والخيال:

لقد سعى "كولن" في كل ما كتبه أو قاله إلى تهئية جيل عظيم قادر على أن يكون عقل العالم حين يُجَنُّ هذا العالم ويفقد عقله، وأن يكون الميزان الذي يعيد للعالم توازنه حين تختل به الموازين، وأن يكون الحق الذي يدفع أباطيل العالم فيزهقه، وأن يكون هو الصواب حين يخطئ العالم، والضمير الحي حين يموت ضمير العالم.

ليس من العيب أن تكون هذه أحلامنا، ولكنّ العيب أَنْ نظلَّ نحلم، أو أن نبقى في دائرة الحلم ولا نتجاوزها إلى العمل الجاد لتحقيق هذه الأحلام.. فالواجب أن نشحذ هممنا، وأَنْ نزيد في قوى إراداتنا وأن نعمل ليلَ نهار، ونبذل كل طاقاتنا الفكرية والعملية من أجل الوصول إلى هذه الأهداف العظيمة، حتى نراها قائمة بين أيدينا واقعًا ملموسًا نلمسه بأيدينا ونبصره بأعيننا ونعايشه في حياتنا..

فإرادة الوصول إلى الهدف هي التي ستقرّبنا منه.. فالإرادة هي الحياة، فمَن لا إرادة له، فهو ميت، وإن كان يمشي على رجْلين بين الأحياء... إن الارادة العبقرية تصنع الأعاجيب، لا

مستحيل يحول بينها وبين أهدافها، إذا كنت "رجل إرادة" فأنت رجل حياة، فعظماء البشر هم عظيمو الإرادات، وهي التي تصنع التاريخ، وتصنع مجد الشعوب والأمم، بل أمضي فأقول: إنَّ الإرادات العبقرية تحرّك الجبال، وتخرق الصعاب..

وهكذا رأينا أن الشيخ الفاضل محمد فتح الله كولن عالم رباني واسع العلوم والمعارف ، صوفي الطريقة، رقيق القلب، سريع البكاء خشية لله ، رحيما بخلق الله في مشارق الارض ومغاربها... زاهد ورع لا يحب الشهرة. قل أن يجود الزمن برجل مثله . أطال الله لنا فى عمره ورزقه الصحة والعافية جزاء ماقدم وماسيقدم للبشرية من خدمات عظيمة تجنى ثمارها الأجيال تلو الأجيال.

جزى الله عنا الأستاذ الفاضل فتح الله كولن خير الجزاء، وآمل من رحمة الله القدير أن يجعل ذلك في صحائف عمله يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلاَّ مَنْ أتى الله بقلْب سليم.

تم بحمد الله

الفقير الى عفو مولاه

محمد السقا عيد